فوق الدوامة

رواية

الطبعة الأولى
2020م- 1441هـ

ديوان العرب
للنشر و التوزيع

ملحوظـــــــــةٌ: حقوق الطبع جميعها محفوظة للمؤلف

عنـــوان الكتاب: فوق الدوامة

اســـم المؤلف: إيمان مختار قاسم

التصنيف الأدبي: رواية

رقم الإيـــــداع: 10843 / 2020

الترقيـــم الدولي: 1 - 95 - 6792 - 977 – 978

تصميـــم الغلاف: محمد وجيه

التدقيـــق اللغوي: د.هبة ماردين

التنسيق الداخلي: محمد وجيه

رقـــــم الطبعـة: الطبعة الأولى

المديـــــر العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر - بورسعيد

جوال: 00201211132879

البريد الإلكتروني: mohamedhamdy217217@gmail.com

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي، أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه، أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.

فوق الدوامة

رواية

إيمان مختار قاسم

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
ديوان العرب
حقوق حلمك

إهداء

إلى التي ألهمتني برحيلها المفاجئ تلك الرواية..

إيمان

****

تكمن الروعة في البدايات، ينبثق الأمل وتتزين الحياة ويولد الحلم..
شروق الشمس.. ميلاد طفل.. مقبل الشباب.. توهج الحب..
البداية هي عنوان لكل قصصنا..
بعض القصص تولد من الشجن وبعضها يصنعها الحزن..
والفرق بين الحزن والشجن كالفرق بين اللون الرمادي واللون الأسود
لا أحد يختار بدايته، لكننا نتعلم الحكمة من النهايات ولذلك أعشقها..
ودائماً يطرح المؤلف على نفسه سؤالاً: من أين سيبدأ؟ ومع من؟
وبعد تفكير قررت أن أبدأ معها..
مي.. بطلة القصة ابنة السادسة عشر ربيعاً.. هي من ذلك العمر المحير الذي لا هو ينتمي للطفولة ولا يتصرف كعقلاء السن.. ولعلها لا زالت تعيش طفولتها أكثر من أي شيء..
بداخلها ألف حلم وألف قصة وألف ذكرى مؤلمة..
أحمل لها مشاعر خاصة وهي تعلم ذلك فهي من الشخصيات التي نادراً ما ألتقي بها..
الحديث عن مي لا أمل منه.. سأبدأ أولاً في وصفها من ناحية الشكل
هي فتاة طويلة القامة إلى حد ما، نحيفة، ملامحها رقيقة وبسيطة، تغطي عينيها نظارة طبية تكسب ملامحها بعض الجدية..
أما من ناحية الطباع فهي ممن يطلقون عليه السهل الممتنع، هذا النوع ربما أعتقدت فهمه لكن لا يغرنك ذكاؤك فربما لم تفهم شيئاً على

الإطلاق، فحافظة الأسرار لديها ممتلئة عن آخرها- لا أقصد أسراراً عاطفية- هكذا يتجه تفكيرنا نحن الشرقيون، ولكنها مجموعة أفكار.. آراء في الآخرين - وربما كنت أنت واحداً منهم- ذكريات قديمة، وجهات نظر، تطلعات وأحلام..

لا زالت في دراستها الثانوية، محبوبة من الجميع، فهي شخصية اجتماعية ودودة مما جعلها مقربة من الكل طلبة ومعلمين.

في هذا اليوم الشتوي كانت تقف وسط زميلاتها في الفصل في الفترة المخصصة للراحة وممارسة الأنشطة حين مرت عليهم الأستاذة نوال الأخصائية الاجتماعية لتخبرهم بأن هناك ندوة في مكتبة المدرسة وتدعوهم للحضور.

كانت مي شغوفة بحضور الندوات فاقتربت من الأستاذة نوال ورحبت بالفكرة وسألتها عن الموعد ونوع الندوة فأخبرتها أنها ندوة دينية تبدأ بعد انقضاء فترة الاستراحة فقد كان من الصعب إجراء هذه الندوة في فترة الاستراحة لأن المحاضر وقتها سيعاني من الهرج والمرج وشغب الطلاب الفضوليين فلا هم حضروا المحاضرة ولا تركوه ليفيد الآخرين..

أقنعت مي مجموعة من زميلاتها بالحضور معها وتوجهن إلى المكتبة

كان هناك صفان أحدهما للبنات والآخر للبنين، لمحت مي زميلها عمر ينظر إليها فرغماً عنها سقطت منها ابتسامة خجلى سارعت بإخفائها..

عمر زميل دراسة منذ المرحلة الإعدادية.. تشعر بارتياح نحوه، وعلى مدار الخمس سنوات التي رأته فيها تبادلا من وقت لآخر بعض الجمل البسيطة بعد أن يكونا قد بذلا الكثير من الجهد لاختلاق سبب أو فرصة للحديث..

بدأت الندوة.. تحدث معهم الشيخ عن بعض الأخلاقيات التي يجب عليهم اتباعها داخل المجتمع المدرسي، بدأت بعدها فترة الأسئلة منها ما يقوله الطلاب بأنفسهم ومنها ما هو مكتوب في وريقات صغيرة ترسل إلى الشيخ للرد عليها..

من بين هذه الوريقات قرأ الشيخ هذا السؤال: ما رأي حضرتك في العلاقة بين الولد والبنت في المدارس المشتركة؟

ابتسم الشيخ ابتسامة الأب المدرك لمشاعر أبنائه وقال من خلال لهجته الوقورة: أنتم إخوة داخل الصف الدراسي على هذا الأساس يكون التعامل بينكما، ثم قال مازحاً بلهجة عامية: ثم تعالى أنت وهو عرايسكم لسه مطلعوش من الحضانة يادوب على بال ما تكونوا نفسكم، يضحك الجميع فيستعيد الشيخ من جديد تعبيراته الجادة بينما استرق عمر نظرة سريعة لمي ليشاهد رد فعلها فرأى عدم الاقتناع يظهر على وجهها.

انتهت المحاضرة فبدأ الطلاب الانصراف أولاً تبعتهم الطالبات..

وجدته ينتظرها خارج القاعة يسألها ببراءة: ما رأيك في إجابة الشيخ

مي: كنت أود منه أن يعطي فرصة أكبر من ذلك في الحوار فبداخل كل منا أسئلة أكثر وخاصة..

ابتسم عمر بخجل وقال: السؤال الأخير

اكتفت مي بالصمت ولم ترد.

نظر عمر حوله وخشي أن يظن أحد أن هناك شيء ما بينه وبين مي ففضل الانصراف سريعاً نحو فصله، وقتها لمحت مي صديقتها نهى تنظر لها نظرة ساخرة ففهمت لما تعجل عمر في الانصراف وقد كانت هذه من الفرص النادرة التي يتبادلان فيها بعض العبارات..

انتهى اليوم الدراسي الشاق وانطلقت مي عائدة للمنزل وفي ذهنها ذلك الحوار الجميل الذي دار بينها وبين عمر وأسئلة عديدة تراودها، ما الذي يمكن أن يكون بينها وبين عمر وهي الفتاة المحجبة الملتزمة بالحشمة في ثيابها الرافضة لتصرفات زميلاتها اللاتي يواعدن زملائهن في المدرسة في غياب عن أعين الأهل، كانت تعتبر ذلك نوع من الخيانة وتأبى أن تتطور بها الأمور نحو ذلك..

ربما يكون لظروف حياة مي سبب كبير في تكوين تلك الشخصية الجادة فقد توفي والدها وهي في سن صغيرة جداً، ومنحتها الأم كل اهتمامها ورعايتها ومنحتها إلى جانب ذلك ثقة في ذاتها مما جعلها تتميز داخل مجتمع المدرسة بشخصية قيادية وهادئة في ذات الوقت.. لكن غياب الأب أضفى على مشاعرها مسحة من الحزن لا تستطيع الأيام محو أثرها وخاصة

عندما كانت زميلاتها تحدثنها عن آبائهن ومشاعرهن نحوهم دون قصد بالتأكيد فيشعرها ذلك بألم الفقد الذي لا يضاهيه ألم..

يذكرها بتلك اللحظة الرهيبة التي رأت فيها أباها بلا حركة والأم تجلس إلى جواره مغرقة في الدموع كانت لا تزال صغيرة لم تتجاوز الخمس سنوات سألت أمها بخوف: أمي ماذا حدث لأبي؟

احتضنتها الأم وغطت وجه أبيها الذي فارق الحياة للتو وقالت لها: لا تخافي يامي سأكون دائماً معك.

أول وأصعب دروس الحياة.. ذلك الدرس الذي حال سنها الصغير دون أن تستوعبه..

في ذلك الوقت كانت سناء والدة مي تجلس في صالة المنزل حاملة هاتفها الجوال ومنشغلة في مكالمة ما.

المنزل بسيط يتكون من حجرتين وصالة كبيرة مقسمة إلى ركن للسفرة وركن للأنتريه، حجرة لوالدتها لا زالت تحتفظ فيها بصور زوجها الراحل وقد امتلأت بالأوراق والكتب، والثانية حجرة مي التي تعبر عن الانطلاق والدفء في وقت واحد – ولا ننسى بعض الفوضى- ارتمت مي على السرير لحين انتهاء سناء من مكالمتها الهامة، وكل مكالمات سناء هامة.. فهي تعمل صحفية بجريدة معروفة..

أمها ذات شخصية محاربة تسعى بكل جهدها لكشف ما خفي من حقائق ليس من أجل الخبر والسبق الصحفي فقط فالأخبار لا تعنيها ولكنها حريصة كل الحرص على كشف الفساد ومحاربته بكل السبل..

علا صوت الأم فجأة وهي تقول: هذا ما كنت أخشاه، أي حصانة تقصد، الأستاذ بشير للمرة الثانية يقص من مقالاتي لصالح شخصية من هذا النوع، إذا كانت الأدلة كلها تشير إلى إدانته فما المانع أن نلقي الضوء على ذلك حتى ترفع عنه الحصانة المزعومة، لا أدري من أين تطل على المجلس تلك الوجوه القبيحة؟

لا لن أسكت على ذلك أبداً لست شيطاناً أخرس، الأستاذ بشير له كل احترام لكن الكلمة أمانة، يا أستاذ نشأت.. لا فائدة إذاً، نصف ساعة وأحضر لحل تلك المشكلة..

أغلقت الهاتف بعصبية فجاءها صوت مي يقول: جائعة يا أمي

قفزت سناء من مكانها من أثر المفاجأة فلم تكن قد شعرت بمي عند دخولها، اتجهت نحو مي التي كانت لا زالت واقفة أمام باب الحجرة تسند برأسها عليه وقالت: منذ متى وأنت هنا؟

مي: منذ هذا ماكنت أخشاه وأي حصانة تقصد و..

سناء: لم أشعر بك على الإطلاق سأذهب لإحضار الطعام، لا تقلقي بدلي ملابسك واذهبي لحجرة السفرة، ثم مشت بعض الخطوات وعادت من جديد تقول لها: من فضلك ضعي الملابس في مكانها الصحيح، لا أعلم ممن ورثت هذه الفوضى.

مي: سأعلقها بعد الغذاء.

سناء: لا الآن.. النظام نظام..

تململت مي وهي تقول: حسناً سأفعل.

بعد دقائق جلست الأم وابنتها لتناول الطعام وتجاذب أطراف الحديث

مي: هل ستذهبين للجريدة كما كنت تقولين؟

سناء: طبعاً يا مي، أم تريدين أن أستسلم لما فعلوه.

مي: لا طبعاً، من حقك، لكن تلك المهنة مرهقة جداً لك يا أمي وأنا أفتقدك كثيراً..

سناء: وصبرك على ذلك سيكون مساهمة منك في القضاء على الفساد

بدا على وجه مي عدم الاقتناع فقد كانت تشعر بوحدة شديدة عندما تذهب أمها للعمل مرة ثانية وتتركها وحدها، تنتهي من دروسها ثم تجلس بعض الوقت على الفيس، وأحياناً يغالبها النعاس قبل عودة أمها للمنزل، لكن للأم مبادئ لن تتخلى عنها وعشقها للمهنة لا يضاهيه عشق...

نظرت لأمها عندما همت بالانصراف وأرادت أن تستوقفها وترجوها أن لا تغادر لكنها آثرت الصمت لما رأته من حماسها فانصرفت إلى الحجرة لتخلد إلى النوم بعض الوقت.

أشارت عقارب الساعة إلى العاشرة، كانت مي قد شعرت بالإرهاق من المذاكرة فقامت لتجلس بعض الوقت أمام الكمبيوتر. فتحت صفحة الفيس بوك الخاصة بها، كان هناك العديد من الإشعارات، راحت تقرأها بتمعن حتى وقعت عيناها على إشعار من عمر، فتحته بلهفة، وجدته تعليق منه على منشور خاص بها أبدى إعجابه الشديد في كلمات بسيطة ومختزلة.. خفق قلبها حين قرأت تلك الكلمات وكأنها رسالة غرامية منه رغم أن المنشور كان يحمل بعض المعلومات العلمية والتعليق شديد الجدية لكنها اعتبرت ذلك بمثابة شيء رائع يحدث معها..

كانت تنسج مع كل كلمة وكل حرف قصة في مخيلتها..

فتحت الدردشة فوجدته متصلاً.. شعرت بحنين لأن تتحدث معه، بدأت بالفعل تخط رسالة " أهلاً عمر ما أخبارك" وقبل أن تضغط زر الإرسال تذكرت والدتها وهي تقول لها: لقد منحتك كل الثقة وأرجو أن تكوني جديرة بها.

ارتبكت وتراجعت على الفور وبدأت في محو حروف الرسالة.. لمحت اسم الأستاذة نوال بالدردشة، فكرت قليلاً ثم قالت لنفسها: ولمَ لا.. هي الأقرب إلى قلبي عن باقي معلمات المدرسة وكثيراً من الفتيات يحكين لها أسرارهن، وجدت في نفسها ميلاً نحو هذه الفكرة، لقد سبق وتحدثت معها عن شعورها بالوحدة وانشغال والدتها بالعمل الصحفي ولكم كان ردها أكثر

من رائع حين أقنعتها برقي مهنة الصحافة وبأن عليها أن تكون داعمة لأمها، فبدأت بإرسال الرسالة الأولى مرحبة بالمعلمة.

ردت عليها نوال بنفس الترحيب وتعددت الرسائل التي أرسلتها إليها وكانت تحوم حول الحب هل هو موجود في هذه الحياة ؟ هل لو أحبت زميلاً لها سيكون ذلك خطأ؟.. هل.. هل..

نوال تجيب على كل أسئلتها بردود مقنعة ارتاحت لها مي كثيراً فشكرتها وأبدت مدى سعادتها بذلك الحوار وما منحته إياها من راحة عميقة.

عندها قررت أن تقطع الشك باليقين، لا زالت صغيرة ومشاعرها في مرحلة متقلبة وربما أودى بها ذلك التسرع إلى أخطاء لا يحمد عقباها.. الحب موجود لكن لا بد من إطار يحميه من التحول لشيء آخر يرفضه المجتمع وترفضه القيم، أو كما قالت لها نوال" إن مشاعرك في تلك المرحلة كالبحر الهائج وأنت مركب صغير بلا شراع"

كلمات معلمتها نوال حولتها إلى جمل تحاور بها نفسها وما إن انتهى الحوار حتى أقدمت على خطوة جريئة من وجهة نظرها فقد ألغت صداقة عمر..

صباح اليوم التالي كانت مي تقف أمام ميكروفون الإذاعة بالمدرسة، تقدم بعض الأسئلة العلمية، وعندما انتهت مراسم الطابور حملت حقيبتها وصعدت إلى حجرة الدراسة مع باقي زميلاتها. وقبل بداية الحصة بدقائق لمحت عمر يمر من أمام الفصل وهو ينظر نحوها بحدة وغضب، ففهمت أنه علم بإلغائها الصداقة، لا تدري لماذا أصابها ذلك بكل هذا الضيق رغم أنها بالأمس كانت مقتنعة جداً بقرارها..

لم تتمكن من الإصغاء للمعلمين في هذا اليوم وتمنت لو أنها استطاعت أن تعتذر له وتشرح له وجهة نظرها لكن منعها الحياء والحياء..

بعد انتهاء اليوم وقبل انصرافهم للخارج استوقفها عمر في إحدى طرقات المدرسة وسألها غاضباً: هل أسأت الأدب معك؟

مي: أبداً لم يحدث.

عمر: فلماذا؟

ارتبكت مي ولم تعرف بماذا تجيبه فقال عمر: لم أحاول محادثتك على الخاص ولا علقت على منشوراتك بلفظ ينم عن عدم الاحترام فلماذا تلغين صداقتي؟

همت أن تتكلم لكنه غادر المكان على عجل.

أصابها ذلك بغضب شديد وإحساس بالإهانة.. لقد سلب منها حق الرد على كلماته وقررت أن لا تتحدث معه مرة أخرى أبداً، وارتاحت كثيراً لهذا القرار..

انصرفت بمفردها عائدة للمنزل، فتحت الباب واتجهت نحو حجرتها معتقدة أن والدتها لم تحضر بعد عندها سمعت صوت أمها يناديها: مي

التفتت إلى مصدر الصوت وقالت في لهفة: أمي.. لقد عدت مبكرة اليوم ولا تتحدثين في الهاتف، جرت نحو أمها وعانقتها بحب كبير وهي تقول: كنت بحاجة فعلاً إليك.

نظرت الأم في عيني ابنتها وقالت لها: ماذا بك؟

مي :لا شيء تشاجرت مع زميلة لي.

سناء: ولما يامي؟

مي: تظن نفسها شيئاً هاماً بالنسبة لي ولكنها لم تعد كذلك.

نظرت الأم بشك إلى ابنتها فهربت مي من الموقف قائلة: أكاد أموت من الج.. ولم تكمل كلمتها لأنها لمحت علبة بيتزا من المطعم المفضل لها فابتسمت كطفلة صغيرة منحتها أمها قطعة حلوى على حين غفلة.

مي: مفاجأة رائعة

سناء: منذ قليل علمت بخبر القبض على الأستاذ علاء سليمان

مي: أليس هذا هو..

سناء: نعم عضو مجلس الشعب الذي تحدثت عنه بالأمس وهو نفسه الذي كتبت عنه تحقيقاً صحفياً كان سبباً في القبض عليه اليوم، حاول البعض

إيقاف النشر لذلك كنت غاضبة وحرصت على النزول مرة أخرى لإيقاف تلك المهزلة.

مي: أمي

اقتربت منها وراحت تقبل وجنتيها ثم قالت: أنا فخورة بأن لي أم مثلك سناء: وأريدك أن تتمسكي دائماً بمبادئك ولا تخافي من أي مخلوق على وجه الأرض، والآن هيا بنا فالبيتزا في الانتظار.

بعد الغداء جلست الأم وابنتها ترتشفان الشاي بينما غرقت مي في التفكير فيما حدث اليوم مع عمر وهي تشعر بالرضا كل الرضا عن موقفها رغم أنها تألمت من كلماته فلم يكن من هؤلاء الذين يجبرونك على إقصائهم من قائمة الأصدقاء في الفيس بوك لسوء تصرفاتهم أو اقتحامهم لخصوصية الآخرين

في نفس الوقت كانت الأم تتأمل الدخان المتصاعد من كوب الشاي وقد عادت بذاكرتها إلى زوجها الذي كانت تجلس معه في نفس المكان لاحتساء الشاي بينما مي تثير الضجة في غرفتها مع ألعابها.

كان لمدحت شخصية رقيقة جداً وحالمة وكان هو الآخر يعمل في مجال الصحافة، إلى جانب ذلك يكتب الشعر وينشره في نفس الصحيفة التي يعملان بها.. لكنه لم يكن مثلها فعواطفه تغلبه في المواقف المختلفة، الحروب وأخبارها المفزعة من الأمور التي كانت تؤرقه وتثير قلمه في نفس الوقت، صاحب رأي وموقف ثابت تجاه القضايا المختلفة..

لن تنسى أبداً عندما طالع زوجها بعض صور للأطفال الذين قتلوا في قصف لإحدى الدول العربية وكيف ظل يبكي طوال الليل وفي الصباح كانت هناك قصيدة جاهزة للنشر..

كان يحب ابنته ويغدق عليها من حنانه ويكثر اللعب معها وكثيراً ما أوصى زوجته بها وهي تنهره دائماً على هذا التفكير المتشائم وتقول له: ستعيش حتى تراها عروساً وأماً .. كان يدرك أن قلبه لن يتحمل الحياة في

هذا العالم الذي جعل القسوة راية له.. انتهى به المطاف إلى الإصابة باكتئاب حاد، تجول كثيراً بين عيادات الطب النفسي بلا جدوى، ولم يكن هذا بالطبع هو سبب الوفاة فقد أصيب أثناء عمله بأزمة قلبية مفاجئة حاولت أن تعرف زوجته بعد وفاته السبب فيها هل هو خبر مفزع جديد من تلك الأخبار التي تثير دموعه طوال الليل أم.. أم.. لكنها أبداً لم تصل لشيء الكل أكد لها أن الأمور كانت تسير بشكل طبيعي.

بكت زوجها كما لم تبكِ أحداً من قبل، وأغلقت قلبها عليه وعلى ابنتها فلم يكن لها من الأحباب والأهل سوى أخ واحد يعيش بالخارج، قررت أن تعيش لابنتها ولعملها وأن تجعل من كل لحظة في حياتها قيمة فالعمر قد ينتهي دون مقدمات.. هكذا تعلمت من تجربتها مع زوجها.

تنهدت ونظرت إلى كوب الشاي الذي بين يديها وجدته صار بارداً، نظرت إلى جوارها وجدت مي تغط في نوم عميق، ابتسمت لهذا المشهد وأحضرت غطاء من الحجرة وغطت ابنتها بعد أن طبعت قبلة حانية على جبينها وهي تشعر بارتياح كبير وتقول لنفسها: كان هذا هو الخيار الصحيح أن لا أدخل عليك رجل غريب يكدر صفوك ويبعدك عني ولو للحظة.

في هذا الوقت جلس عمر أمام التلفاز لمشاهدة مباراة كرة قدم بين مصر ودولة أجنبية، كان شديد الحماس يعلو صوته كلما هم أحد اللاعبين بإحراز جول.

دخل عليه والده فناداه في عصبية: عمر ما هذه الضجة.

انتبه عمر لصوت والده فقال بهدوء: أشاهد المباراة تعال لتشاهدها معي

الأب: هل انتهيت من الاستذكار اليوم .

عمر: بمجرد انتهاء المباراة سأبدأ فوراً.

الأب: لا أدري لماذا هذا الهوس بكرة القدم ولماذا لم تصبح مثلي؟

عمر: ولماذا لم تصبح أنت مثلي؟

زفر الأب في غضب وقال بعد أن هم بالخروج: سننظر لنرى نتيجة هذا الشهر وأقسم بالله إذا وجدت درجاتك منخفضة فلن تجلس لمشاهدة التلفاز مرة أخرى.

عمر: حاضر يا أبي اطمئن.

الأب: لا أدري من أين أتيت بهذا البرود.

ثم انصرف تاركاً عمر الذي صاح مفزوعاً عندما أحرز الفريق المنافس هدفاً فقال في غضب: أبي السبب لم يدعني أركز في المباراة.

عمر من أسرة متوسطة الحال، الأب والأم يعملان في وظائف حكومية له أختان توأم في السادسة من عمرهما، الأب حريص جداً في تربيته له بالذات فمن كثرة ما سمع عما يتعرض له الشباب في عصرنا من مشكلات إدمان وانحرافات أصبح شديد الخوف عليه، كان شديد الحرص على مراقبته ومراقبة أصدقاءه خوفاً من أن يختلط بأصدقاء سوء يغيرون مسار حياته ويتسببون في فشله في التعليم، وكان ذلك بالطبع يغضب عمر وخاصة أنه في مرحلة المراهقة سن التمرد على السلطة، سلطة الأب.. الأم.. المعلم.. مدير

المدرسة.. وتكون أفضل طرق التوجيه هي الطرق الغير مباشرة والتي تأتي في صورة مختلفة عن النصائح والتعليمات.. فهم يرفضون الخطوط الحمراء ويبحثون دائماً عن تجربة كل ما هو جديد..

انتهت المباراة بفوز الفريق المنافس مما أصاب عمر بالإحباط وزاد من احباطه أنه مضطر للبدء في عمل واجباته المدرسية والاستذكار وكذلك واجبات الدروس الخصوصية " يا إلهي كيف أقوم بكل ذلك وأنا محبط " قالها لنفسه ثم اتخذ قراراً بالتوجه إلى اللاب توب الخاص به والجلوس لمدة نصف ساعة يستعيد خلالها نشاطه، ساعده على ذلك أن والدته كانت بالخارج في زيارة لجدته والبنتان نائمتان في حجرتهما.

تذكر مي وموقفها معه فدفعه الفضول ليعرف ماذا نشرت اليوم وتأثير كلماته عليها، لكنه لم يجد الكثير ليقرأه ورجح أنها قيدت معظم المنشورات للأصدقاء ولم يعد هو واحداً منهم..

شعر بأسى وزاد ذلك من إحباطه فقرر أن يرسل لها رسالة على الخاص وليكن ما يكن، لم يجد سوى بعض الكلمات القليلة يعبر بها عما بداخله: آسف لاقتحام الخاص.. فلنعد أصدقاء من جديد، هم أن يلغي الرسالة لكنّ شيئاً ما في نفسه دفعه لإرسالها، كان بحاجة لأن يكون قريب منها حتى لو كان ذلك فقط من خلال قراءة ما تكتبه، وأعاد إرسال طلب صداقة من جديد.

مرت نصف ساعة.. يأس من أن تكون مي قد قرأت الرسالة وقبل إغلاق الفيس وجد إشعار منها في انتظاره بموافقتها على الطلب.

على الجانب الآخر شعرت مي بسعادة كبيرة عندما قرأت الرسالة..

لمحت بين الحروف رنة توسل ملأت قلبها بمشاعر لا تستطيع وصفها فوجدت نفسها مسيرة نحو قبول الطلب.

الطرقات مزدحمة بشكل خانق والكل يحاول لاهثاً الوصول إلى مخرج حتى لا يتأخر عن عمله.

سناء تحاول أن تشق بسيارتها الصغيرة ذلك الزحام لتصل في أقل وقت ممكن إلى الجريدة، تتمنى لو تتبخر كل تلك السيارات من أمامها كمعجزة علمية تحدث لأول مرة لتصل سريعاً، الخطوات بطيئة جداً والاختناق هو السمة الغالبة على كل الموجودين في المكان.

مرت أكثر من نصف ساعة حتى فرجت تلك الأزمة وانسابت السيارات في طرقات القاهرة من جديد.

تشعر بصداع في رأسها فهي لم تنم جيداً بالأمس منذ أن تلقت اتصالاً هاتفياً من رقم مجهول ينصحها بعمل تحقيق صحفي عن المخدرات في منطقة شعبية في حي من أحياء القاهرة القديمة لحسن حظها أنه قريب من الجريدة، حاولت أن تعرف من المتصل لكنه رفض التعريف بنفسه ولكن بدى على نبرات صوته حزن شديد، ربما كان أحد المدمنين أو أب لشاب مدمن وربما لقى حتفه بسبب الإدمان، ويبدو أنه خائف من التصريح باسمه.

عند وصولها إلى الجريدة كان أهم شيء يشغلها هو هل ستوفق في الوصول إلى معلومات مفيدة حول هذا الموضوع أم لا..

استقلت الدرج المؤدي إلى مكتبها في خفة فقد كانت تتمتع برشاقة تمنحها القدرة على الحركة بشكل أسرع، طلبت المصور من هاتفها الجوال وانتظرت

وصوله في المكتب بلهفة، أخبرته بنوع المهمة فأحضر أدواته وتوجه معها إلى المكان المحدد

المنازل بحالة يرثى لها والقمامة منتشرة في المكان، أصوات الباعة الجائلين والأطفال الصغار لا تعطي فرصة للهدوء، صخب ..صخب..

أجرت حوارات عديدة ، انقسم الناس خلالها إلى ثلاثة أنواع، نوع يتجاوب معها وهو النوع الأقل، ونوع يرفض تماماً التصريح بأي كلمة والنوع الثالث يتهكم ويسخر وكأنه يقول لها عودي من حيث أتيت فلا فائدة مما تفعلين..

ومع ذلك فقد توصلت لمجموعة من الحقائق: نسبة كبيرة من الشباب تتعاطى المخدرات، البعض لمح أنهم يساقون للإدمان تدريجياً وعند وصولهم إلى أقصى درجة من الإدمان ونظراً لفقرهم الشديد يتم تجنيدهم لأعمال غير مشروعة مقابل تناول الجرعة المخدرة فيتحولون من مدمنين إلى تجار مخدرات ومجرمين..

تلك التلميحات كانت من عدد قليل منهم وكانوا يتسترون وهم يخبرونها بها مما أثار حماسها أكثر للموضوع.

التقطت صور عديدة للمكان، لم تتحدث فقط عن مشكلة الإدمان ولكن أيضاً عن المكان الغير صالح للحياة الآدمية فلا نظافة ولا بيوت آمنة ولا فرص عمل جيدة.. بيئة صالحة لانتشار الجريمة..

كان الوقت بعد عودتها إلى الجريدة مشغولاً عن آخره، ظلت تكتب وتعدل حتى أصبح التحقيق جاهزاً للنشر في اليوم التالي

لكن ما كتبته لم يكن يرضي طموحها الصحفي، كانت تتمنى لو تضع يدها على المسؤول عن تلك المأساة، لكن كيف والخوف يضع حداً فاصلاً بينها وبين الحقيقة.

- بالطبع ليس خوفها هي ولكن خوف كل من تكلمت معهم اليوم- بقى لديها خيط يمكنها الوصول من خلاله إلى بعض الحقائق" المكالمة الهاتفية" حاولت كثيراً الاتصال بالرقم لكنه لم يكن متاح ولم يظهر الاسم لديها من خلال برنامج معرفة هوية المتصل فقررت الذهاب للشركة الخاصة بالاتصالات لمعرفة صاحب الرقم وكما توقعت هو رقم غير مسجل

نظرت في ساعتها كانت تشير إلى السادسة مساء.. لقد تأخرت كثيراً ولا بد أن مي عادت وتنتظرها منذ زمن إذا لا بديل عن الوجبات الجاهزة، لابد أنها تتضور جوعاً.. آسفة يا ابنتي

عندما وصلت المنزل وجدت مي في انتظارها في الصالة وعلامات الغضب على وجهها، قالت معاتبة: نسيت أن لك بنت.

سناء: لا تقولي ذلك ليس عندي أغلى منك وحتى ما أقوم به في عملي هو من أجلك.. ألست تعيشين في هذا المجتمع، وإصلاحه يوفر لك مزيداً من

الأمان.. هيا هيا فقد أحضرت طعام جاهز اليوم حتى لا أتأخر عليك أكثر من ذلك

تحمست مي كثيراً وراحت تحضر الأطباق والأكواب وتساعد أمها في فتح الوجبات، كان كل شيء جاهز في خلال دقائق

قالت مي: لو نأكل كل يوم من هذا الطعام

سناء: هذا الطعام يحتاج إلى ميزانية خاصة أضيفي إلى ذلك أنها أطعمة غنية بالدهون، ليس هناك أفضل من أكل البيت

هنا رن جرس الهاتف الخاص بسناء فقامت لترد، وجدت نفس النمرة التي اتصلت بها مسبقاً.. جاءها صوته وهو يجهش بالبكاء: أريد أن أقابلك يا أستاذة

من خلال دهشتها أجابته: أنتظرك غداً بالمكتب

الرجل: لن أستطيع الانتظار حتى الصباح

سناء: إذاً سأذهب الآن إلى الجريدة خلال نصف ساعة ستجدني هناك

أنهت الأم مكالمتها فنظرت لها مي بغضب وقالت: مرة أخرى يا أمي

سناء: لا أدري يا مي يبدو أن هذا الرجل يخفي شيئاً كبيراً ولا بد أن أعرفه

مي: بخصوص مشكلة المخدرات

سناء: نعم يا مي

ثم أحضرت حقيبتها وانصرفت على عجل

كانت الطرقات أقل ازدحاماً عن الصباح وهي تقود بسرعة عالية فالفضول الصحفي يكاد يقتلها.

ترى ماذا يخفي هذا الرجل من معلومات؟ ولماذا يبكي؟ هل هي صحوة ضمير أم ماذا؟

دخلت مكتبها وطلبت من الساعي إحضار فنجان قهوة لها.. كانت شديدة العشق للقهوة مما يجعلها متيقظة دائماً مستعدة لاستقبال أي حدث في أي وقت.. حقاً إنها مهنة المتاعب.. نظرت في ساعتها في قلق. لقد تأخر الرجل

هل هي مجرد خدعة أم ماذا؟

حاولت الاتصال به مجدداً لكنه لم يرد.. خلال ذلك سمعت طرقات على الباب فأذنت له بالدخول، دخل رجل في الخمسينات من العمر، بياض شعره واضحاً يرتدي ملابس رثة يحمل وجهاً بائساً.. بل شديد البؤس

عرفها بنفسه: عبد السلام درويش صاحب المكالمة

رحبت به وطلبت منه الجلوس، لمحت علامات التأثر على وجهه ولاحظت أنه يحمل حقيبة صغيرة في يده، سألته في لهفة: خير يا أستاذ عبد السلام هل عندك معلومات جديدة؟

بدأت الدموع تنهمر من عيني عبد السلام حاولت سناء تهدئته ببعض الكلمات

بعد فترة عاوده الهدوء وقال لها: آسف جداً.. لقد توفي ابني منذ يومين من أثر جرعة مخدرات زائدة

انقبض قلب سناء وقالت له: البقاء والدوام لله أنا آسفة جداً.

استطرد يقول: المجرمون.. لا بل هم ذئاب بشرية، وكم كنت غبياً حين تهاونت في حق ابني وتركته لقمة سائغة لهم..

ابني يا أستاذة كان شاباً طموحاً جداً غير راضٍ عن حياتنا البسيطة في هذا الحي، كثيراً ما حدثته عن القناعة والرضا لكني لم أضع له في يوم من الأيام حلولاً لمشكلته بل لم أكن حتى قادراً على حمايته من هذا الذي يدعى مفيد الشبراوي

رن الاسم في ذهن سناء فسألته: هل هو رجل الأعمال المعروف؟

عبد السلام: نعم للأسف

إنسان بلا ضمير لا يعرف الرحمة.. تأكدي أن ابني من القلائل جداً الذين علموا بعلاقته بما يحدث في الحي، بدأت حكايته معنا حين تعرف ابني على مجموعة من الأصدقاء الفاشلين وذهبوا للسهر في نادٍ كبير، في ذلك اليوم وعند عودته لم يكن بحالته الطبيعية، اعتقدت في البداية أنه شرب خمراً وصرخت في وجهه محذراً إياه من تكرار ذلك ووعدني ألا يفعل، لكن بعد فترة قصيرة وجدت في حجرته آثار لبودرة غريبة، فأخفيت تلك البودرة ريثما أتأكد.

في المساء وجدته في حالة غير طبيعية ويقلب الغرفة رأساً على عقب، سألته عن أي شيء تبحث فلم يجب وبدأت ملامحه تتغير ويصرخ في وجهي: كانت هنا.. هل رميتها؟

لم أجبه فقال: هي معك إذاً أحضرها إلى وهم بأن يضربني لولا أن لمح العلبة في جيبي فأخذها رغماً عني.

صمت بعض الوقت ثم قال: وعلمت أننا أمام ابتلاء عظيم.. حاولت كثيراً إقناعه الذهاب للعلاج بلا جدوى

انهار الرجل في البكاء بينما لم تجد سناء ما تقوله وبعد فترة من الصمت قالت: وكيف عرفت أن رجل الأعمال هذا له علاقة بموضوع المخدرات؟

عبد السلام: تطور الأمر مع ابني وكنت أسمع مكالماته الهاتفية لأصدقائه والذين أصبحوا يعملون لصالح هذا الرجل في شركته "بودي جارد" هكذا يسمونهم لكنهم في الواقع هم خدم لتنفيذ أي أوامر تصدر لهم، وكان ابني للأسف من المقربين له، اعتقدت أنه ربما يصبح سبباً في استقامته لكن ابني استمر في الإدمان إلى أن نقل إلى المشفى قبل الوفاة بأيام..

وكأنه كان يشعر بدنو أجله فقد صارحني بأن الرجل الذي يعمل عنده هو نفسه المسؤول عن توريد المخدرات للحي من أجل الاستفادة من الشباب من أجل أعماله المشبوهة ولولا أن ابني كان محل ثقته لما علم كل ذلك.

بكى الرجل من جديد فبادرته سناء قائلة: وبيدك أن تنتقم من قاتل ابنك، أعطني عناوين أصدقاء ابنك وأسمائهم فهذا سيساعدني كثيراً في جمع معلومات عنه، جفف الأب دموعه وراح يخبرها بما طلبت، وقبل أن ينصرف قال لها: أنا لم أعد يهمني أي شيء في الحياة بعد موت وحيدي ..لكن انتبهي أنت على نفسك فالأمر ليس بالسهل

سناء: اطمئن للكون رب وأنا سأحارب من أجل بتر هذا الشخص الفاسد شعرت بالدماء تغلي في عروقها، ساءها جداً ما عرفته، تمنت لو كانت تملك الحكم على هذا الإنسان اللا إنسان.. إذاً لأصدرت فوراً حكمها بالإعدام.. هو وأمثاله لا يستحقون الحياة أبداً..

تذكرت ابنتها مي وشعرت بالخوف عليها، نظرت في ساعتها وقررت العودة إلى المنزل فالوقت غير مناسب لاستكمال الموضوع اليوم

وفي المنزل، وجدت مي تجلس في الصالة أمام اللاب توب

مي: ها.. أكان موضوعاً هاماً فعلاً لدرجة أن تتركيني وحدي كل هذا الوقت؟

سناء: نعم يا مي وأكبر مما تتصورين

مي: خير يا أمي

سناء: لا خير في وجود هذا الشخص لكنني سأظل وراءه حتى أوقعه وأخلص العالم منه

مي: فهمت إذاً من الآن أستعد للوحدة حتى ينتهي الموضوع

اقتربت الأم من ابنتها وقالت في لهجة حانية: أعلم كم تتحملين يا ابنتي لكن هذا دوري في الحياة ولا أستطيع التخلي عنه، ساعديني أرجوك

لم تعرف مي بماذا تجيبها، تريد أن تقول لها وأنا.. أليس لي جانب من دورك في الحياة، لكنها تراجعت خوفاً من أن تغضب والدتها، اكتفت بابتسامة باهتة وذهبت إلى حجرتها لتكمل المذاكرة

أما سناء فقد بدأت كتابة الخطوات التي من المفترض أن تقوم بها غداً لاستكمال التحقيق

مي.. ماذا كنت أقول الآن؟ اشرحي لي

كان هذا صوت الأستاذة سعاد مدرسة اللغة العربية، لاحظت شرود مي فأرادت لفت انتباهها مرة أخرى

قامت مي وقالت بتلعثم: حضرتك كنت تشرحين نصاً لإبراهيم ناجي

المعلمة: نعم أعلم ذلك لكن ماذا كنت أقول بالضبط

صمتت مي وشعرت بالخجل فقالت لها المعلمة: تفضلي وركزي معي في الدرس لا أريد شروداً مرة أخرى.. كنا نتحدث عن الأساليب الإنشائية والخبرية في قصيدة إبراهيم ناجي، أرجو من كل واحدة أن تعطي نموذجاً منها في ورقة وتكتب عليها اسمها ثم نتناقش بعد ذلك

كانت مي تفكر في مدى صحة أو خطأ تصرفها عندما قبلت صداقة عمر من جديد وهذا ما جعلها لا تنتبه لشرح المعلمة، حاولت أن تتجاوب معها بعد ذلك لكن ذهنها كان شارداً معظم الوقت..

عندما انتهت الحصة نادتها الأستاذة سعاد خارج الفصل وقالت لها: مي أنت طالبة متميزة لا تدعي فرصة لأي شيء يؤثر على مستواك الدراسي

مي: لكن يا مس أنا..

سعاد: لا أريد أن أعرف فيما كنت تفكرين فقط أريد منك إصغاء كامل أثناء الشرح اتفقنا

مي: اتفقنا وآسفة على ما بدر مني

عادت مي إلى الفصل وتظاهرت بالانشغال في ترتيب الحقيبة فيما اقتربت منها صديقاتها

هدى: ها.. هل تشاجرت معك

مي: لا.. مس سعاد طيبة وهي تخاف على مصلحتي لا شيء غير ذلك

أمل: فلماذا كنت شاردة إذا أخبريني أنا مثل أمك

ضحكت مي وقالت ساخرة: أنت يا أمل إن أمي أطول منك بكثير كانت أمل قصيرة، وضعت يدها في خاصرتها وقالت: هكذا إذاً.. سترين ماذا يمكن أن تفعل بك تلك القصيرة

جرت مي وهي تضحك ومن ورائها أمل فكادت مي تصدم بمدرس اللغة الإنجليزية، توقفت وهي تواجه التجهم الذي بدى على وجهة وعادت إلى مكانها محاولة إخفاء الضحك الذي امتلأ به وجهها ..

تلك الحصة ثقيلة جداً بالنسبة لمي، ربما بسبب شخصية المعلم المستفزة لها فقد كان شديد التكبر والعصبية، وعندما دق الجرس تنهدت بارتياح

أثناء انصرافها استوقفتها هدى وقالت لها: لا تنسي عيد ميلادي يوم الخميس القادم ولا مجال للاعتذار

مي: طبعاً لابد أن أحضر لكني أخشى أن لا توافق أمي فآخر مرة حضرت فيها عيد ميلاد عدت متأخرة وحدثت بيننا مشكلة كبيرة

هدى: سأتحدث مع والدتك لتوافق وسأدعوها لتحضر معك

مي: لا يا هدى إذا حضرت أمي فلن نكون على راحتنا في عيد الميلاد

هدى: كما تشائين المهم أن تحضري

لا أجيد كتابة القصص البوليسية ولكن ما حدث مع سناء يضطرني لأن أحاول ذلك

خرجت سناء إلى عملها بعد أن اتصلت بالمصور ليكون على أهبة الاستعداد، وكعادتها اشترت بعض الجرائد ووضعتها إلى جوارها

عند وصولها إلى الجريدة وجدت المصور في انتظارها فاستأذنت منه لتحضر بعض الأوراق

طوال الطريق وهي تفكر من أين ستبدأ، معها أسماء وعناوين أصدقاء الشاب المتوفي ابن عبد السلام، معظمهم في نفس الحي عدا واحد فقط، دفعها حدسها الصحفي أن تبدأ به، يسكن في منطقة راقية بالزمالك، فيلا أحمد عزت.

عجيب هذا الأمر كيف اجتمع الاثنان!

دقت جرس الباب لكنّ أحداً لم يرد، كررت المحاولة أكثر من مرة بلا جدوى، انصرفت يائسة وقررت الذهاب إلى باقي العناوين..

وصلت إلى الحي الشعبي.. المنازل في حالة مترهلة، طرقات ضيقة، بالكاد تمكنوا من الوصول لمكان يصلح لركن السيارة

صعدت الدرج الخشبي لأحد المنازل، دقت الباب، رأت أمامها امرأة بدينة يبدو عليها أثر النوم

سناء: هل يمكنني مقابلة أشرف

السيدة: من حضرتك

سناء: صحفية بجريدة الأحداث

السيدة: صحفية!

ثم راحت تنادي على ابنها وتقول: يا أشرف تعال بسرعة هناك صحفية تريد مقابلتك، جاء شاب طويل مفتول العضلات علامات الدهشة بادية على وجهه بتردد قال: أهلاً وسهلاً تفضلوا

دخلت سناء إلى المنزل الذي كان مظلما إلى حد ما بسبب النوافذ المغلقة ومساحته الصغيرة جداً.. قام أشرف بفتح النوافذ وجلس ليستمع باهتمام لما ستقوله سناء

سناء: تعرف طبعاً سامي عبد السلام

بدى القلق على وجه أشرف وراح يقول: نعم أعرفه لكن المخدرات لا علاقة لي بها كما ترين لو كنت مثلة لما أصبحت بهذا الشكل وراح يستعرض عضلاته أمامها، تعجبت سناء من عدم تأثر أشرف بما حدث لزميلة في العمل.

سناء: يبدو أنكما لم تكونا أصدقاء، لكن أخبرني ما نوع العمل الذي كنتم تقومون به عند مفيد الشبراوي، وهل كانت لكم علاقة مباشرة بمفيد؟ هل هو رجل على خلق أم له نشاطات مشبوهة؟

تلعثم أشرف وقال لها مدافعاً عن نفسه: لقد كنت مجرد بودي جارد لرجل أعمال يتاجر في العطور ولا أعرف شيء غير ذلك، من فضلك دعينا

وشأننا نحن كما ترين فقراء.. بل شديدي الفقر ولا طاقة لنا بمفيد الشبراوي وغيره

سناء: قتل زميل لك من جرعة مخدرات زائدة وكان من الممكن أن تكون مكانه وأنا أحاول الوصول لحقائق تساعدني في الإيقاع بمن نشر تلك السموم في المنطقة، اعتقدت أنك ستساعدني لكن.. يبدو أن عضلاتك هذه مجرد مظهر

ألقت جملتها الاستفزازية وانصرفت ومن ورائها المصور فناداها أشرف قائلاً: أستاذة.. لا تلعبي بالنار

سناء: هي مهنتي ولا أستطيع أن أخذلها

شعرت ببعض الإحباط وإن كانت تأمل أن يستيقظ ضمير أشرف ويمنحها بعض المعلومات

ذهبت إلى عنوان ثان وثالث، بعضهم يبدي الاستياء مما حدث والبعض الآخر مثل أشرف لا مبالاة لديه، لكنها توصلت إلى شيء هام أن محمد ابن أحمد عزت الذي يقطن في الزمالك كان من المقربين جداً للمرحوم فقررت أن تعيد الكرة وتحاول الوصول إليه، أعطاها أحدهم رقم هاتفه، اتصلت مراراً دون إجابة..

لا زالت الأسئلة تطاردها، شاب ثري مثل هذا لماذا يعمل عمل متواضع في شركة رجل أعمال؟ ولماذا لا يجيب على اتصالاتها؟

كانت مصممة على معرفة الإجابة.. شعرت بإجهاد شديد..

نظرت في الهاتف وجدت الساعة تشير إلى الخامسة مساء ووجدت أكثر من اتصال من مي..ياه.. لقد نسيت مي وسرقني الوقت

راحت ترن على هاتف ابنتها فردت مي بلهفة: أمي لماذا لا تردين؟ لقد قلقت جداً عليك

سناء: آسفة جداً يامي أنا قادمة إليك، لقد مر الوقت علي دون أن أشعر وكان الهاتف صامتاً

مي: حقا.. ونسيت مي

سناء: أبداً يا مي اعذريني عشر دقائق وأكون عندك

أغلقت سناء الهاتف وهي توبخ نفسها، كان يجب عليها الاتصال بمي لتخبرها بأنها ستتأخر، لا بد أن تنتبه لذلك في المرة القادمة

ابنتها أهم من أي شيء في الدنيا..

وصلت المنزل، أدارت مفتاح الباب، وجدت مي جالسة في الصالة ونظرات العتاب واضحة في عينيها، اقتربت سناء منها وعانقتها وهي تقول: سامحيني يا مي أعدك أن أنتبه في المرة القادمة

مي: لقد خفت كثيراً، ليس لي سواك فلا تتركيني مرة أخرى للأوهام

في ذلك اليوم نامت سناء ومي مبكراً.. وقرب منتصف الليل رن الهاتف الجوال الخاص بسناء، كان المتصل محمد عزت فأسرعت ترد: ألو

محمد عزت: أستاذة سناء أريد مقابلتك غداً لكن أرجو أن يكون ذلك في منتهى السرية، لا داعي لإحضار المصور معك، سأتصل بك لأخبرك بالموعد والمكان، ثم أغلق المكالمة وتركها في حيرة من أمرها، كيف عرف اسمها ومما يخاف ولماذا لم يحدد الموعد الآن..

آه.. ربما عرف الاسم من تروكر وربما حكى له أحد أصدقائه عن لقائي بهم بالأمس.. على أية حال هذا اللقاء هام جداً للموضوع..

حاولت النوم بعد ذلك لم تتمكن، مرت الليلة ثقيلة ثقيلة

في اليوم التالي وقرب الواحدة ظهراً جاءتها مكالمة من رقم مجهول كان هو المتصل وطلب منها أن تغادر الجريدة وأخبرها أنه ينتظرها في بداية الطريق داخل سيارة أجرة لتذهب معه إلى المكان وأعطاها رقم السيارة، في البداية ترددت كثيراً وخشيت من العواقب لكن حماسها الصحفي دفعها لأن تستجيب لطلبه، أرسلت رسالة لمي تخبرها بأنها قد تتأخر

اقتربت من سيارة الأجرة وركبت بتردد..

بجوار أحد النوادي القريبة من كورنيش النيل أوقف السيارة وطلب منها النزول، كان يرتدي ملابس فاخرة ونظارة سوداء كبيرة تخفي معظم ملامحه

دعاها للجلوس وبدأ الحديث قائلاً: ما حدث مع سامي كان أمر مؤلم جداً، لقد كان صديقي المقرب.. كنا نعمل معا ونخرج معا، ثم قال بألم: ونتعاطى معاً..

لا تتعجبي من اعترافي، أريد أن تذكري في مقالاتك أن المخدرات ليست مجرد وهم بل هي جهنم على الأرض لعشاق الاحتراق والنهايات المؤلمة..

لقد مزقني موت سامي ولم أتمكن من فعل شيء.. لعلك تملكين ذلك

سناء: بمشيئة الله أتمكن من ذلك، لكن يراودني سؤال منذ عرفت أنك من أسرة ثرية ومعروفة، ما الذي يجعل شاب مثلك يعمل بودي جارد ويتعرف على أشخاص من عالم مختلف جداً عن عالمه

الشاب: لأننا جميعاً من عشاق الاحتراق.. يبدو أننا لم نحب الحياة ففضلنا العذاب على السعادة.

سأخبرك بكل شيء، مفيد الشبراوي للأسف كان صديق حميم لوالدي، وكنا نتردد على منزله باستمرار ويأتي لزيارتنا وارتبطت رسمياً بابنته الصغرى منذ ثلاث سنوات لكني لم أجد فيها مواصفات فتاة أحلامي فقررت فسخ الخطبة..

وعندما ذهبت لوالدها لأخبره بقراري ابتسم لي ابتسامة صفراء وقال: لا عليك أنت ابني وهي ابنتي، انصرفت راضياً عن قراري وأثناء مغادرتي

الفيلا الخاصة به وجدت بعض الرجال يلتفون حولي وبدأوا يضربونني على رأسي فغبت عن الوعي استيقظت وجدت نفسي في منزل مفيد مرة أخرى وهو يقف إلى جواري ومعه طبيب يحاول إفاقتي ثم جهز الطبيب حقنة وقال لي هذا الفيتامين سيجعلك أفضل حالاً، بعدها استسلمت لإحساس رائع بالراحة والسعادة وشكرت مفيد على موقفه معي وعدت إلى المنزل، كنت شديد الإجهاد فأغلقت الحجرة ونمت حتى الصباح..

خلال تلك الليلة راودتني أحلام جميلة ومبهجة، لكن.. وعندما استيقظت صباح اليوم التالي داهمني صداع رهيب وبدأت أشعر بأوجاع في جسمي وعصبية شديدة، ولم أفهم في البداية ما يحدث لي إلى أن وصلتني مكالمة من مفيد يخبرني أن أحضر له فدوائي عنده، وقتها فقط أدركت بأنني وقعت فريسة للمخدر، وبلا وعي توجهت إلى منزله وقد ساءت حالتي، أمسك بيده الحقنة وقال لي: هذه المرة هدية لكن في المرة القادمة يجب أن تسمع كلامي..

تنهد بألم وصمت لبعض الوقت فبادرته سناء مشجعة: وماذا بعد؟

الشاب: لعلك تقولين أنني مؤلف كبير لكن في الحياة ما هو أغرب من الخيال..

أدركت أن ما فعله مفيد كان نوع من الانتقام، كنت أتردد على منزله كل يوم لأخذ الجرعة المخدرة وفي اليوم الخامس اشترط أن لا يعطيني الحقنة

إلا في مكتبه، وأن أذهب وراءه حاملاً حقيبته لأنني من اليوم سأعمل حارساً خاصاً له وهذا هو الثمن المطلوب للمخدر

سناء: لكن يبدو من المنزل الفاخر الذي تسكنه أنك من طبقة ثرية وغير مضطر إلى الانصياع لرغباته ويمكنك شراء المخدر

الشاب: هذا لأن المظاهر خداعة، أنا من عائلة كانت غنية والمنزل هو آخر ما تبقى من هذا الثراء، والدي كان موظفاً كبيراً بأحد المصالح الحكومية وهذه الفيلا ورثها عن جده الذي لم ينجب سوى ابن واحد، أما غير ذلك فقد ذهب فيما مضى، ولم نكن نملك في ذلك الوقت سوى معاش أبي ننفق منه أنا وأمي

كانت سناء تسجل كل ما قاله بعد أن وعدته أن تنشر القصة بدون ذكر أسماء، لكن سؤال ألح عليها فقاطعته لتعرف الإجابة عليه

سناء: وكيف تعرفت على سامي؟

محمد عزت: مسكين وقع فريسة للمخدر مثلي لكنه سبقني في العمل عند مفيد.

كنا نحن الاثنان محل ثقة من جانب مفيد ربما لتمكن المخدر منا أو ربما لضعف شخصية كلانا وسوء ظروفه، فصار يحركنا كالعرائس في المسرحية فمنحنا بعض المهام الخاصة بتوزيع المخدرات ومن خلال تلك المهام عرفنا

أنه الموزع الأول للعديد من المناطق وخاصة المنطقة التي يسكن بها المرحوم سامي، ثم صمت بعض الوقت وعاد يقول: لا أصدق أنه مات كنت كأخ له يشكو لي همومه.. سوء ظروفه ومعاناته مع المخدر، ثم عاد يصمت من جديد

سناء: أكمل

محمد : وجاء أصعب يوم في حياتي ..كان منهاراً لأن حبيبته ستتزوج من آخر بعد أن رفضه أهلها..

وكنا في جلسة مخدرات طلب جرعة أخرى من المخدر ولم يكن مسموحاً له بأخذ أكثر من جرعة لكنه أصر وأخرج كل ما في جيبة فأحضروا له ما طلب، حاولت منعه لم أتمكن.. صرخ في وجهي قائلاً: اتركني لا أريد أن أشعر بأي شيء، ثم غاب عن الوعي فاعتقدت أنه نائم لكن للأسف..
نقلناه بعدها للمشفى إلى أن..
انهمرت دموعه فراحت سناء تواسيه ببعض الكلمات
محمد: لم أستطع منعه، لكني الآن فقط أريد الانتقام من أجله ومن أجلي.. هذا الرجل يجب أن لا يبقى خارج السجن، دمر حياتي وحياة سامي وحياة الكثيرين

سناء: وأنا معك سأساعدك لتحقيق هدفك لكن عليك أن تساعدني وتمدني بأي معلومات تقع تحت يدك

محمد: سألازمه ليل نهار وأعطيه مزيد من الثقة فهو يعشق من يتملقه وأنا واثق بأننا سنصل إلى ما يثبت جرائمه

ابتسمت سناء وراحت تشجعه بكلماتها ثم طلبت منه أن يخبرها بكل شيء أولاً بأول، حيته وانصرفت..

طوال الطريق وهي تتذكر كل ما سمعته اليوم، يا لها من أحداث تقارب الخيال، أفكار عديدة تدور في رأسها، كيف يمكنها الإيقاع بذلك الذي يدعى مفيد الشبراوي وهل يصدق هذا الشاب ويأتيها بمعلومات هامة

عندما عادت سناء للمنزل سمعت ضحكات مي وهي تتحدث في الهاتف

مي: لا ياخالو كل مرة تقول هذا الكلام ولا تأتي.. ألم تشتَق لمصر، ليست حجة لا بد أن تأتي هذا العام.. نظرت لوالدتها ثم قالت لخالها: أمي وصلت هي معك الآن، ناولت أمها الهاتف فبدأت تتحدث بلهفة: عصام كيف حالك؟ اشتقت لك كثيراً.. ألم تزهد من الغربة بعد.. زوجتك ليست حجة.. أحضرها معك وستحب مصر كثيراً.. بخير الحمد لله لكن ينقصنا من يسأل عنا فكما تعلم أنك أخي الوحيد أم نسيت.. أحب عملي هنا ولا أفكر في الهجرة أبداً وكذلك مي لها حياتها وأصدقاؤها.. حسناً مع السلامة يا عصام

وضعت الهاتف على المنضدة ثم نظرت لمي وقالت بلهجة معاتبة: أنت التي اتصلت به هذه المرة أيضاً أليس كذلك؟

مي: نعم يا أمي

سناء: قلت لك من قبل اتركيه لبعض الوقت لنرى أيتذكرنا أم لا.. لكن لا فائدة من الكلام

مي: أمي.. اشتقت له كثيراً وأريد أن أراه

ربتت الأم على كتف مي وقالت: أعلم يا مي ولكني أريده أن يتصل هو بنا كما نفعل كثيراً، أريده أن يشعرني باهتمامه لأمرنا ولو مرة كل شهر

مي: آسفة يا أمي سأفعل ما تريدين في المرة القادمة

ثم صمتت لبرهة وعادت تقول: أمي حبيبتي

سناء: ها.. ماذا تريدين؟

مي: عيد ميلاد هدى الخميس القادم، ثم اقتربت من أمها وراحت تقبلها وهي تقول: أرجوك لا ترفضي لن أتأخر أبداً هذه المرة، سأحضر مبكراً وأخصص للهاتف نغمة عالية جداً لأسمع اتصالك

سناء: ماذا أفعل في طيبة قلبي.. حسناً يا مي اذهبي هذه المرة وإذا تأخرت فلن تذهبي أعياد ميلاد مرة أخرى

راحت مي تعانق والدتها بسعادة وهي تقول: شكراً يا حبيبتي سأذهب الآن لاختيار الفستان الملائم

سناء: مهلك يا مي باقي أربعة أيام لما العجلة

مي: حتى أكون مستعدة ولا أتفاجأ بشيء

سناء: آه لو تصبحين بنفس هذا الحرص في المذاكرة لأصبحت الأولى على الجمهورية

مي: ولكني متفوقة يا أمي

سناء: ومع ذلك يمكنك تحقيق تفوق أكبر وأكبر بشيء من التركيز

مي: أحتاج أيضاً نقوداً لأشتري لها هدية

سناء: لكن لا تبالغي فيها مثل المرة السابقة

مي: الأسعار وما وصلت إليه

سناء: طبعا أعلم وهذا يجعلنا أكثر حرص في نفقاتنا

ثم قالت بغضب: لا فائدة من النقاش معك.. سأتركك مع دولابك وأذهب لإعداد الطعام

كانت هناك مباراة كرة قدم مقامة بين فريق الفصل الخاص بعمر وفريق فصل آخر و ذلك في الفسحة المدرسية، جلست مي مع بعض زميلاتها لمشاهدة المباراة، كانت متحمسة جداً لفريق عمر.

مر الوقت سريعاً وسط الصيحات والهتافات وانتهت المباراة بفوز فريق عمر

بدأ مدير المدرسة توزيع الهدايا على الفريق الفائز وسط تصفيق حار من الطلاب والمعلمين، وأثناء انصراف عمر إلى فصله اقتربت منه مي وقالت: مبروك، ثم انصرفت مسرعة إلى الفصل قبل أن تعطي له فرصة للرد، لكن كلمتها أسعدته كثيراً وظل طوال الليل يعيدها على سمعه وكأنها اعتراف صريح من مي بمشاعرها

أما مي فقد وبخت نفسها كثيراً على هذا التصرف وعزمت على أن لا تفعلها مرة ثانية، خرجت من حجرتها وذهبت للصالة كانت والدتها لا زالت مستيقظة، نظرت لها بريبة وقالت: ليس من عادتك السهر

سناء: ولماذا لم تنَمي أنت.. فيما كنت تفكرين

مي: لا شيء يا أمي فقط عندي بعض الأرق

سناء: أشعر أن مي تخفي شيئاً ما

مي: أبداً.. أنت من تهربين من الإجابة على سؤالي

سناء: أنتظر مكالمة هامة

مي: كالعادة.. لكن ممن

صمتت سناء وراحت تفكر في سبب تأخير مكالمة محمد عزت وقد اتفق أن يهاتفها في العاشرة مساء يخبرها بآخر ما وصل له من معلومات.. ساورها الشك والقلق وهمت أن تتصل به لكن رنين الهاتف أوقفها

جاءها صوته وهو يلهث: وصلت لأوراق وتسجيلات هامة وكذلك بعض الصور.. انتظريني غدا في الجريدة، ثم أنهى المكالمة

نظرت إلى مي وقالت لها: سأصل غداً إلى ما كنت أنتظره منذ أسابيع طويلة

مي: مبروك السبق الصحفي الجديد لكن لا تنسي مكافأتي

سناء: وماذا فعلت لتستحقي مكافأة

مي: فعلت الكثير.. يكفي أنني تحملت غيابك عن المنزل

سناء: معك حق.. أعدك بعد انتهاء هذا الموضوع نسافر في نزهة من اختيارك

كادت مي ترقص فرحاً وراحت تقول: الإسكندرية، أحلم برؤيتها كثيراً

الأم: وهو كذلك، فلنخلد الآن إلى النوم فالغد مليء بالمهام والمفاجآت

في الصباح ذهبت سناء إلى الجريدة.. كان الوقت لا يزال مبكراً ولكنها خشيت أن يحضر محمد إلى الجريدة ولا يجدها، انتبهت إلى صوت الساعي يرحب بقدومها: صباح الفل يا أستاذة

سناء: صباح النور.. من فضلك احضر لي القهوة

الساعي: فوراً أحضرها، وراح يردد بعض الدعوات فقد كانت سناء دائمة العطف عليه

جلست على المكتب تقرأ صحف اليوم..

بدأ القلق يساورها، تكره الانتظار وتخشى أن يتأخر فيضيع الوقت دون أن تنجز شيء، قررت أن تحاول صياغة مقدمة التحقيق الخاص بالمخدرات لحين وصوله

مر وقت وهي تحاول التركيز فيما تكتب بلا جدوى إلى أن سمعت طرقات على الباب فأذنت للطارق بالدخول، كان هو، نهضت من على مكتبها وقالت بلهفة: تفضل.. تفضل..

بدى محمد مرتبكاً.. مد يده بظرف كبير قائلاً: هذا ما استطعت التوصل له حتى الآن

فتحت الظرف وجدت بعض الصور وأوراق فأشار إلى الظرف قائلاً: هناك بعض الأوراق التي تشير إلى صفقات له والصور التي معك لبعض الشخصيات المشبوهة في لقاء معه

راحت تتفحص الأوراق والصور جيداً ثم دست الظرف في حقيبتها وقالت: استمر وأنا معك سأسهر اليوم لكتابة التحقيق ليكون جاهزا للنشر غداً وأنتظر منك المزيد لنخلص المجتمع من شرور ودناءة هذا الرجل

محمد: دعواتك لي يا أستاذة

سناء: بالتوفيق يا رب

عادت سناء مبكراً للمنزل لتبدأ في كتابة التحقيق في جو أكثر هدوء، رأت مي في حجرتها ترتدي ملابسها استعداداً للخروج

سناء: ولما العجلة لا زال الوقت مبكراً، تناولي الغذاء أولاً

مي: أكلت بعض السندويتشات، لا بد أن أذهب مبكراً لأساعدها في تزيين المنزل

سناء: آه منك يا مي دائماً تلعبين دور القائد.

مي: وهل هي ميزة أم عيب

سناء: ميزة وعيب

مي: امم...حسناً مركب متعادل لا مشكلة

سناء: لا تتأخري يامي كما اتفقنا

مي: أعدك مهما حدث لن أتأخر أبداً

قبلت مي أمها وانصرفت من المنزل

بدأت سناء في عملها فقد كانت تنوي إرسال التحقيق للمطبعة بمجرد الانتهاء منه، من يدري ربما تتمكن من نشره في عدد الغد

راحت تقرأ الأوراق وتحلل ما جاء بها وتكتب تعليق على الصور..

كلماتها قوية.. شرسة وهذا الأسلوب معروف عنها عندما تتعرض لموضوع من هذا النوع، كانت كقطة تدافع عن أبنائها ضد عدو يريد إيقاع الأذى بهم

أما مي فقد غمرتها السعادة وراحت تساعد هدى في كل التفاصيل، تعليق الزينات نفخ البالونات إعداد الأطباق...

الأغاني الصاخبة تملأ المكان وأصوات البنات وهن يرددن الأغاني تشيع جواً من البهجة والمرح بلا قيود فالمنزل مليء بالفتيات حتى أن والد هدى وأخاها تركا المنزل ليتركوا الحرية لهدى وصديقاتها

التفوا حول التورتة ورحن ينشدن أغنية عيد الميلاد.. تصفيق حاد وصور جماعية في أماكن مختلفة من المنزل، تولت مي تقطيع التورتة وتوزيعها وسط هرج ومرج الفتيات وصديقاتها يستحثونها هيا يا مي نكاد نموت جوعاً

مي: الصبر كل شيء سيكون جاهزاً بعد دقائق

مر الوقت سريعاً وقد غمرها شعور بالسعادة.. لقد كانت فعلاً بحاجة إلى الترويح، لكنها لم تنسَ وعدها لأمها فاستأذنت هدى التي غضبت لانصراف مي مبكراً لكنها اعتذرت لها فهي لا تريد إغضاب أمها..

وقفت على الطريق في انتظار الأتوبيس الذي يتجه نحو المكان الذي تقطن به، لكنها لم تنتظر كثيراً فقد كانت هناك سيارة خاصة في انتظارها

راحت سناء تنظر إلى ساعة الحائط بقلق شديد خاصة لأنها حاولت الاتصال بمي ووجدت الهاتف مغلقاً، اتصلت بهدى لكن صخب الحفل لم يمكنها من سماع جرس الهاتف.. بعد مرور وقت طويل اتصلت هدى بها وأخبرتها أن مي غادرت المنزل منذ ساعتان

كاد يغمى عليها من الخوف.. ماذا حدث لمي.. انهمرت دموعها وسجدت لله لتعلم أي شيء عن ابنتها وأن يحفظها لها.. يا إلهي ماذا تفعل الآن؟ هل تتصل بالشرطة؟

تمسك الهاتف محاولة الاتصال بمي مجدداً لكن.. نفس الأمر
تكاد تموت من شعورها بالخوف عليها.. دموعها لا تتوقف تستغيث وتكرر السجود من جديد.. يا رب ارحمنا ليس لنا غيرك..
سمعت رنين الهاتف الأرضي فجرت بلهفة نحوه، جاءها صوت غليظ يقول لها: إذا كنت تريدين ابنتك فلا تنشري أي معلومات عن موضوع مفيد بيه

سناء: ابنتي.. ماذا فعلتم بها

الرجل: انزلي الآن ستجدين سيارة في انتظارك، أحضري معك الأوراق والصور التي وصلتك اليوم واستلمي ابنتك لكن بشروطنا التي سنخبرك بها، ثم سمعت صوت مي تبكي وتقول: أمي أرجوك أنقذيني

لم تفكر كثيراً سناء فمشاعر الأم أقوى من أي شيء، حملت الأوراق وهبطت الدرج على عجل

وجدت سيارة بيضاء فتح لها رجل بابها فدلفت بداخلها والدموع تغمر عينيها..

تكاد تموت خوفاً على ابنتها

وصلت إلى فيلا قديمة بمكان معزول وهناك رأت ذلك الوجه القبيح مفيد الشبراوي ورأت ابنتها مقيدة، صرخت في وجهه ماذا فعلتم في ابنتي

مفيد: كما ترين.. أين الأوراق

سناء: فكوا قيود ابنتي أولاً

فأشار لرجل آخر فقام بفك القيود

جرت مي نحو أمها وهي ترتجف فعانقتها أمها ثم أخرجت الظرف من حقيبتها

مفيد: لقد أزعجنا جداً تصرفك وللأسف القرار ليس قراري وحدي أمامك أربعة وعشرون ساعة وتغادري البلد بلا عودة..

اختاري أبعد مكان عن هنا الكبار لا يريدون رؤية وجهك مرة أخرى

سناء: ولمَ كل ذلك ألم تأخذوا الأوراق والصور

واضح أنك عنيدة لأريكم أولاً جزاء من لا يسمع كلامنا.. وأشار لأحدهم فأحضر شاباً مكبلاً بالقيود وعلى فمه شريط لاصق تأملته جيداً إنه محمد عزت..

كادت تصرخ وتقول اتركوه لولا أن سبق صراخها رصاصة اخترقت قلبه فسقط جثة هامدة..

انطلق صراخها هي ومي التي أخفت وجهها بيديها وسقطت على الأرض تبكي من هول المشهد..

ابتسم مفيد ببلادة وقال: ها ما رأيكم.. سناء الكبار ملوا من تحقيقاتك التي لا تنتهي فلترحلي عن وجهنا إلى الأبد وإلا.. وأشار لجثة محمد وقال: ستكون ابنتك لا أنت نحن لا نلعب

حبست سناء أنفاسها وجذبت مي من يدها لتقف وأمسكت بيدها بقوة وهي تشعر بأقصى درجات الذعر..

جاءها صوته القبيح من جديد قائلاً: سيساعدك ذلك الرجل الذي أحضرك إلى هنا في تسهيل كل الاجراءات الخاصة بالهجرة ارحلي بابنتك إن كنت تخافين عليها، ثم أشار لسائق السيارة ليذهب لتوصيلهما

خرجت وهي ترتجف وتبحث في عقلها عن إجابات لأسئلة كثيرة، أي محكمة نصبت لها اليوم مطالبة إياها بتغيير حياتها في أربعة وعشرون ساعة.. لا بد أن الأفاعي كثيرة وحتماً سيقع أحدها تحت سيف قلمها فأرادوا بترها ليتخلصوا منها نهائياً، فقد تسببت تحقيقاتها في القبض على أكثر من واحد منهم

وصلوا للمنزل.. طلب منها السائق تجهيز مستنداتها هي وابنتها وسيأتي في الصباح لأخذها على أن تحدد المكان الذي سيذهبان إليه كمنفى أبدي لهما كانت الليلة شديدة البرودة لكن الإحساس بالبرد داخل قلب كل منهما أقوى..

الأم وابنتها ترتجفان، مي عيونها زائغة ودقات قلبها متسارعة، شريط ذكرياتها يدور أمامها سريعاً، أما سناء فقد كانت تشعر بقرب نهايتها، وكأن القدر يسوقها لموت محقق، لم تكن تعلم أن للخوف تلك القدرة على الفتك بمشاعر الإنسان، لا يمكن وصف شعورها في تلك اللحظة فلن يتمكن أحد من إدراكه سوى من مر به

ازدادت الرجفة في جسد مي وأجهشت بالبكاء، احتضنتها الأم بقوة وراحت تقول لها: أنا معك حبيبتي لا تخافي

مي: أمي إنهم يقتلونا برصاص بارد، لقد قرروا إعدامنا بطريقة أخرى، ما الذي يحدث لنا؟ ولماذا؟ لم أكن أتخيل أن يحدث هذا معنا في يوم من الأيام.

نظرت لها سناء بعيون تغمرها الدموع وقبلت رأسها بحرارة وهي تقول: أحمد الله على عودتك لي كدت أموت من الخوف عليك

ساد صمت طويل وهما تجلسان تمسك كل منهما بيد الأخرى ورأس مي مسندة على كتف أمها

سمعا صوت حركة خارج المنزل فانتفضت مي مذعورة، ربتت الأم على ظهرها قائلة: أحد الجيران لا تقلقي، ثم قامت وأدارت المذياع على صوت القرآن الكريم فقد شعرت بحاجة ماسة لما يهدئ روعهما.

كانت ليلة قاسية على كل منهما حاولا النوم بلا جدوى.

علا صوت آذان الفجر فنهضت الأم وتوضأت وتبعتها مي ووقفت إلى جوارها لتصلي وعندما سجدت الأم أطالت في السجود وأجهشت بالبكاء وهي تقول: ليس لنا غيرك يا الله كن معنا وارحمنا.

أنهت الأم الصلاة فاقتربت منها مي بحنو وقالت: أمي استمري فيما بدأتيه، لن نرضخ لهم، لنبلغ الشرطة

نهضت الأم وقالت مفزوعة: لا يامي.. لا يمكن أن أضحي بك هم ليسوا بشر ولا يعرفون الرحمة

مي: لكن يا أمي كيف نترك بلدنا وبيتنا ومدرستي وأصدقائي، كيف نغير حياتنا بين يوم وليلة ونستسلم هكذا.. لا يا أمي أرجوك.

أمسكت الأم بيدي ابنتها وأنفاسها تتلاحق وقالت: أرجوك أنت يا مي ..أنت لا تعرفين كثيراً من أمور الحياة.. هم لا يمزحون.. لقد هددوني بك.. الموت عندي أهون، أعلم أنه موقف صعب جداً علينا، لكن الأصعب منه أن أفقدك.. لو كانت حياتي هي الثمن لما ترددت لكن أنت.. لا

انهارت مي في البكاء واتجهت نحو حجرتها تتأمل كل تفاصيلها، تودع ذكريات ومشاعر وأحلام بين جدرانها.. خلال ساعات ستغير عالمها وتبدأ حياة أخرى في مكان مجهول

أُستراليا.. ذلك المكان الذي حلمت كثيراً بالذهاب له لكنها تذهب له الآن مضطرة، كان هو المكان الأفضل كمنفى على الأقل ستجد خالها إلى جوارها

أحضرت حقيبة سفر وبدأت تلملم أشياءَها ودموعها تبلل وجنتيها.. نظرت لها الأم باستسلام واتجهت بدورها إلى غرفتها، خلعت صورة زوجها من على الحائط وراحت تناديه وتشكو له ثم وضعتها داخل حقيبة السفر..

مر الوقت، أنهت مي إعداد حقيبتها واتجهت إلى غرفة والدتها لتساعدها في إعداد الأوراق المطلوبة.. رن جرس الباب فذهبت سناء لتفتح، كان القادم هو سائق العصابة المكلف بإحضار الأوراق، أخذ الأوراق وقال لها: سأخبرك بموعد السفر عند حجز التذاكر كوني على استعداد..

أغلقت الباب وجلست على أريكة قديمة واضعة كلتا يديها على وجهها، تتمنى لو كان ذلك حلم.. لكن هيهات..

ورق.. ورق.. لم يبقَ لنا من وطننا سوى بعض الورق نحمل فيه اسم الوطن كذكرى خالدة دوام الحياة

ورق.. ورق.. ورحل كل شيء.. البيت.. الأصدقاء.. الأحباب.. وعالم جديد لا أدري إن كنت سأقوى على احتمال غربته أم ستقتلني أحزان بلا نهاية

أجلس هنا في الموقع المخصص لي في رحلة الغربة ، مقعد وثير.. أمامي شاشة عرض.. أحد الأفلام العالمية.. بجواري أمي لا تخفي علي دموعها التي تمسحها من آن لآخر قبل أن أضبطها متلبسة بالحزن، اختارت الأسود لوناً لثيابها ليكون متوافقاً مع لون مشاعرها.. يا له من سواد يلف قلبي وقلبها.. مسكينة أمي

منذ رحيل أبي وهي تكافح وتعاني لتربيني وتعلمني ، تحارب بقلمها من أجل القيم والحياة الآمنة وها هي الآن تستسلم لسكين الشر الذي ذبحها بلا رحمة، وأي رحمة في قلوب هولاء.. إنهم يحملون نفوس سادية تهوى العذاب في عيون الآخرين، أكاد أصرخ وأقول لأمي: لا لنهبط من تلك الطائرة اللعينة لن نترك وطننا وبيتنا، فإما أن نعيش فيه أو نتلاشى إلى الأبد، لكن رحمتي بأمي تمنعني من ذلك، أعلم مدى خوفها علي ورغبتها في أن أحيا بأمان لكن..

مي.. ماذا تكتبين؟ كان هذا صوت أمها

مي: أبداً أحاول أن أخرج ما أشعر به على الورق

سناء: هل أعطيتني إياه لأقرأه

مي: لا يا أمي.. لا أريد أن تحملي حزني مع حزنك ليس الآن

سناء: متى إذاً

مي: عندما تعاود الشمس الشروق من جديد

تنهدت الأم في ألم وقالت: ياه.. أشعر أنها نهاية العالم، ثم نظرت لعيني ابنتها اللتان تحملان كل الصفاء وقالت وهي تمسك بيدها بحنان: لكن لولا وجودك معي لانتهى بالفعل كل شيء.

أزيز الطائرة يعلو تدريجياً وضجيج المشاعر بداخلهما يعلو ويعلو ليغطي صوته على كل الأصوات

أغمضت مي عينيها محاولة أن تعيش واقعاً آخر ربما تستيقظ من هذا الحلم المزعج

ما إن هبطت الطائرة حتى حدث انفجار كبير في المطار، جرت مي وأمها ليبتعدا عن الحريق ،الصراخ والعويل يملأ المكان رأت مي زعيم العصابة يجري وراءهم فراحت تجري وتجري حتى خرجت خارج المطار وأمها تنادي عليها لتتوقف لكن الخوف منعها من ذلك، شعرت بيد قوية تمسكها لتمنعها من الهروب فدوى صراخها في المكان وهي تنادي على أمها.. أمي.. أمي

مي.. مي.. ماذا بك هل تحلمين؟

انتبهت مي على صوت أمها فراحت تتنهد وتلقي برأسها على صدر أمها وهي تقول: حلم مزعج يا أمي

استعيذي بالله من الشيطان، ثم فتحت الحقيبة الخاصة بها وأخرجت مصحفاً اعطته لمي وقالت لها: اقرئي فيه حتى تهدئي، هو ابتلاء وعلينا الصبر عليه حتى يزول.. دوام الحال من المحال

أمسكت مي بالمصحف وراحت تقرأ وشعور بالراحة يراودها تدريجياً وسط سيل الدموع الذي انهمر من عينيها..

رحلة طويلة جداً تشعر سناء فيها بأنها شجرة اقتلعت من جذورها لولا شيء من الراحة تشعر به لأن أخوها يقطن في تلك البلدة، ولكن هل ستكون مرتاحة للإقامة معه ومع زوجته؟ لا تدري.. مجهولة هي تلك الحياة الجديدة

مرت الساعات ثقيلة مرة.. لكن لكل بداية نهاية وها هي المضيفة تعلن عن قرب الهبوط إلى مطار سيدني ..

استعد الركاب لمغادرة الطائرة وارتدوا المعاطف الثقيلة نظراً لبرودة الجو الشديدة..

أمسكت مي بيد أمها كطفلة صغيرة تخرج لأول مرة، راحت تتأمل المكان من حولها، المطار شديد النظافة والنظام عنوان لكل شيء، الإجراءات بسيطة غير معقدة، لم يمر وقت طويل حتى أحضروا حقائب السفر واستأجروا سيارة لإيصالهم إلى منزل خالها

كانت تباشير الصباح تبدأ في الظهور، منطقة رائعة بين الليل والنهار تشبه الحلم لطالما كانت مي تبتهج بأولى علامات النهار وبداية الشروق.. اليوم الأمر مختلف فالشروق الآن يعني غروب حياتها في مصر.. غروب مفاجئ بلا مقدمات..

ما أقساه من شعور..

دلفت بهم السيارة إلى شارع أنيق مليء بالأشجار، بعضها مألوف بالنسبة لهم وبعضها غريب كغربة المكان

كانت سناء قد اتصلت بأخيها وأخبرته بأنها قادمة لزيارته لكنها لم تخبره بأنها رحلة هجرة وليست مجرد زيارة، لم يكن باستطاعتها أن تحكي ما حدث بالهاتف، ولا تشعر أنها قادرة على إخراج ما في نفسها من كلمات لأخيها، ليتها تستطيع..

عشر سنوات هي المدة التي قضاها أخيها في الغربة بعيداً عنها..

كان الإحباط يتملكه من كل شيء وكان قراره إثر صدمة عاطفية تعرض لها فالفتاة التي أحبها بجنون لم يتمكن من الارتباط بها لضيق ذات اليد.. خاصة وأن الفتاة كانت من عائلة ثرية، والدها تاجر أخشاب معروف وهي فائقة الجمال مما جعل فرص الزواج من شباب أغنى منه متاحة بشكل كبير فكانت المقارنة ليست في صالحه..

ومنذ ذلك الحين وهو يقيم في أُستراليا بعد أن ساعده أحد أصدقاءه الذين سبقوه في الهجرة

تزوج خلال تلك السنوات من فتاة استرالية مسيحية وأنجب منها ولدان..

كانت مي رغم الحزن الذي يعشش داخل قلبها تحلم بلقاء خالها وتجد فيه طوق نجاة لهم

وصلوا إلى منزل خالها عصام.. بوابة المنزل أو الفيلا توحي بالرفاهية الزائدة وضعت سناء يدها على الجرس وهي لا تصدق أنها أخيراً سترى أخيها، فتح

الباب فرأت أمامها خادمة عرفتها بنفسها فدعتها للدخول ورحبت بها، أشارت لها إلى حجرة الاستقبال واستأذنت لتنادي عصام

الفيلا كبيرة جداً لدرجة لم تكن تتوقعها، الأثاث رغم بساطة ذوقه إلا أنه يبهر كل عين تقع عليه لتناسق الألوان وفخامة الخامات.. ألوان الجدران هادئة وباردة إلى حد كبير، لوحات من الفن السريالي تزين المكان، كل شيء كان مبهر لهما وغير متوقع.

جلسوا على الأنتريه الرمادي الموجود في البهو يتبادلان بعض الأحاديث حين سمعا صوت الخال يقترب قائلاً: حمدا لله على السلامة.

ترقرقت الدموع في عيني سناء وهي تعانق أخيها وتقول: أخي حبيبي لكم اشتقت إليك كل هذه السنوات ولا تأتي لزيارتي

عصام: آسف يا سناء الحياة هنا صعبة والعمل يأخذ كل وقتي، لمح مي تنظر له ببراءة فاقترب منها وعانقها وهو يقول: كبرت يا مي أصبحت عروسة جميلة

مي: لكم أشتاق إليك كنت أحلم بهذه الزيارة منذ سنوات طويلة

الخال: تفضلا

مي: لا تعرف يا خالي ماذا حدث لنا

عصام: ماذا حدث طمئنيني

نظرت سناء إلى مي معاتبة وقالت: مي.. ليس الآن، انتظري حتى نرتاح من السفر ونتعرف على زوجة خالك وأولاده

عصام: ماذا حدث يا سناء أخبريني الآن فقد بدأ القلق يساورني

مي: حدث شيء مفزع جداً يا خالو

سناء: لا مفر إذاً.. سأحكي لك عن كل شيء.. لم نحضر في زيارة عادية كما أخبرتك.. إنها هجرة إجبارية

قصت سناء الحكاية كاملة لأخيها الذي ظهر الانفعال على وجهه واحمرت وجنتاه وقال لها بكثير من التوتر: ولماذا لمَ تخبريني؟

سناء: الأحداث لم تستغرق ساعات ولم يكن بيدنا أي خيار

عصام: ساعات.. واضح أنهم يملكون مفاتيح كل الأبواب المغلقة حتى ينجزون في ساعات ما أنجزته أنا في شهور حين بدأت إجراءات الهجرة، ولكن.. كان يجب أن تخبريني وأشاركك القرار

سناء: لا يا أخي لم تكن تستطيع التدخل، إنها أفاعي لا قبل لك بها.. لقد كدت أموت خوفا على مي

ثم أجهشت سناء بالبكاء فربت على كتفها وقال: لا عليك، هيا اصعدا معي إلى الحجرة المخصصة لكما لتستريحا بعض الوقت ثم نفكر بعدها في شكل الحياة الجديد لكما

أثارت تلك الجملة تفكير مي.. ماذا يقصد بشكل الحياة الجديدة لنا هل مل منا بهذه السرعة

صعد معهم الدرج الخشبي بعد أن أمر الخادمة بوضع الحقائب في الحجرة

حجرة أنيقة مفروشة بأثاث فاخر، النوافذ كبيرة لإدخال ما يمكن إدخاله من الشمس

ابتسم الخال لمي قائلاً: استريحا الآن وإذا احتجتما لأي شيء نادي على الخادمة فورا وسيكون الإفطار عندكم بعد قليل

مي: ألن تأكل معنا

عصام: للأسف مضطر للخروج الآن فهذا موعد عملي نلتقي في المساء

جلست سناء على السرير وهي تنظر لمي وتقول في حنان: لا حرمني الله منك

اقتربت مي من أمها وقبلت رأسها وقالت: ولا حرمني منك يا أمي، ها ماذا نفعل الآن هل نفرغ الحقائب؟

نظرت الأم لمي بإعياء وقالت: ليس قبل أن ننال قسطاً من النوم لقد كانت الرحلة شاقة جداً علينا حتى أنني غير قادرة على استبدال ملابسي

استلقت الأم على الفراش وظلت مي تفكر ماذا تفعل فأحضرت حقيبة سفرها واستخرجت منها بيجاما واستبدلت ملابسها ، راحت تتأمل الحجرة

من حولها، تنم عن ذوق راق لا بد أن زوجته هي من اختارت كل شيء لأنها تعلم أن خالها لا يملك هذا الذوق الرفيع

سمعت طرقات على الباب فقالت ادخل، لكن لم يدخل أحد فتذكرت أن عليها قولها بلغة انجليزية come فدخلت الخادمة حاملة صينية الطعام شكرتها مي ووضعت مقعد أمام الطاولة وحاولت أن تأكل لكنها اكتشفت أن معدتها ترفض تقبل أي شيء فتركت الطعام واستلقت إلى جوار أمها بعد أن وضعت غطاء وثير عليهما، بدأ النوم يغالبها بالتدريج حتى غابت عن كل ما حولها

وجدت نفسها في حوش المدرسة تلقي كلمة في الإذاعة عن حب الوطن وعمر ينظر لها من على بعد بغضب شديد ثم اتجه فجأة نحو المايك وجذبه منها وراح يقول: كاذبة.. كاذبة.. لو كنت تحبين وطنك حقاً لما تركتيه أبداً مهما حدث

بكت مي وجرت نحو صديقاتها فوجدتهم يديرون ظهورهم لها فخرجت تجري من المدرسة فإذا بها ترى زعيم العصابة شاهراً مسدسه في وجهها ويضحك ساخراً منها، صرخت مي صرخة مدوية استيقظت الأم على أثرها وراحت تهزها وتقول: مي.. مي..

مي: آسفة يا أمي كنت أحلم حلم مزعج

سناء: مرة أخرى يا مي، وراحت تضمها إلى صدرها وتقول: محنة وتزول فاصبري والغد أجمل بمشيئة الرحمن.

في فناء المدرسة وقفت زميلات مي يتبادلن الضحكات والدعابات عدا هدى التي كانت واجمة وشاردة.. سألتها أمل: ماذا بك يا هدى

هدى: لا أدري ماذا حدث مع مي، لم تحضر المدرسة ولا ترد على الهاتف قلقة أنا عليها

أمل: ربما تكون مريضة

سمعت نور الحوار فاقتربت منهم وهي تقول: فعلاً يا هدى لقد حاولت الاتصال بها الهاتف مغلق والأرضي أيضاً حتى الفيس بوك لم تظهر عليه ساور القلق نفس هدى وقالت سأنتظر للغد فإذا لم تأتِ سأذهب لزيارتها

أما عمر فقد كانت عيناه تتجولان في أرجاء الفناء تبحث عن مي، كان يعتقد أنها ربما جاءت متأخرة لذلك لم يرها في طابور الصباح لكن عدم ظهورها في الفسحة أقلقه، وظل يفكر هل من الممكن أن تكون قد حولت إلى مدرسة أخرى، ثم يطمئن نفسه مرة أخرى بأن مي محبوبة من الجميع ومتفوقة فلا مبرر أبداً لأن تقوم بتغيير مدرستها خاصة أنه يعلم قرب منزلها من المدرسة

ظلت الأفكار تطارده حتى انتهت فترة الفسحة..

أثناء الحصة بقي شارداً واجماً ينتظر انتهاء اليوم الدراسي ليذهب للمنزل ويفتح الحاسوب الخاص به فربما يعرف شيئاً عنها

كانت قدماه تسيران بسرعة كبيرة حتى وصل للمنزل فتح الباب واتجه إلى حجرته ليفتح الحاسوب لكن للأسف لم يجد مي قد أضافت أي شيء جديد يطمئنه، فكر في إرسال رسالة لكن خشي أن يغضبها.. ربما تكون مريضة وتحتاج للغياب بعض الوقت .

ألقى بنفسه على الفراش محاولاً النوم للهروب من أفكاره

في المساء جاءت الخادمة تدعو مي ووالدتها للنزول فقد حضر خالها وزوجته والأولاد وهم في انتظارهم، راحت مي تنظر لنفسها في المرآة وتعدل من هندامها ثم نزلت وراء أمها

في حجرة الاستقبال جلست جوليا زوجة خالها، هي شقراء قصيرة القامة بعض الشيء يبدو على ملامحها الجدية اقتربت منها مي وراحت تسلم عليها بحرارة، كانت أمها قد سبقتها بالسلام

نظر لها خالها وقال: هي تتحدث العربية لكن بشكل غير جيد

جوليا: أهلا بكم

سناء: اشتقنا للتعرف عليك لكن أخي بخل علينا بزيارة

ضحكت جوليا وقالت: العمل يأخذ وقتنا فالحياة هنا باهظة التكاليف

مي: وأين أبناؤك يا خالو؟

في الحديقة وسيأتيان بعد قليل، ثم نادى الخادم لإحضار الولدين اللذان جاءا يجريان بلهفة

فتحت مي ذراعيها لتسلم عليهما وهي تقول: كنت أود أن أراكما منذ زمن أشار خالها إلى ابنه الأكبر وقال: محمد تسع سنوات وأشار للثاني :وأيمن سبع سنوات

سناء: ما شاء الله ..لم يأخذا شيئاً منك يشبهان أمهما تماماً

عصام: هذا حقيقي

جاء الخادم ليخبر عصام أن الطعام أصبح جاهزاً

عصام: تفضلوا في حجرة السفرة العشاء اليوم على الطريقة الأُسترالية أرجو أن يعجبكم وهناك بعض الأصناف المصرية

ضحكت مي قائلة: حسناً فعلت جائعة جداً يا خالو

بعد أن تناولوا الطعام جلست سناء مع أخيها في شرفة المنزل

قال عصام بلهجة جادة: لازال عندي عتاب لك يا سناء كان يجب أن تخبريني فربما كان عندي الحل المناسب لكما

سناء: ربما أراد الله لنا ان نلتقي

صمت أخوها برهة ثم قال بلهجة جادة: لا تقلقي من شيء يمكنني استضافتك لمدة شهر حتى تجدي مكان مناسب لك أنت ومي

صعقت سناء من تلك الجملة فما كانت تتوقع أن يقولها لها وبهذه السرعة..

آه يا أخي ماذا فعلت بك تلك السنوات العشر؟ قالتها لنفسها دون أن يسمعها عصام لكن يبدو أن رسالتها وصلت فراح يقول

عصام: كما تعلمين هنا ليس كمصر، كل شخص يجب أن يستقل بحياته

سناء: كنت بالفعل أنوي ذلك لكن عندما تتاح لي فرصة عمل حتى أتمكن من استئجار شقة

عصام : لا تقلقي سأدفع أنا إيجار الشقة حتى تجدي فرصة عمل

سناء: عموماً إذا كنت ترغب أن نغادر من الغد فلا مانع عندي

عصام: لا ليس بهذه السرعة أنت ضيفتنا

حبست سناء دموعها، غير مصدقة لتلك اللهجة التي يخاطبها بها أخوها، تذكرت طفولتهما وكيف كانت تعامله كابن لها، كم كانت تبكي حين تراه مريضا غير قادر على الخروج واللعب وتسهر مع أمها لتطمئن عليه..

ياه.... زمن مضى منذ رأته آخر مرة.. تغير كل شيء..

قطع صمتهما دخول مي وبيدها ابني خالها وهما يضحكان

محمد: أبي لقد أحببت مي كثيراً ليتها تبقى معنا ولا تغادر بعد شهر كما قالت أمي

هنا نظرت سناء إلى وجه أخيها فقد أدركت أن هذا القرار قرار زوجته فأجاب على استحياء: حسب رغبتها

مي: ومدرستي التي تركتها، ماذا أفعل الآن؟

عصام: يجب أن تأخذي أولاً تدريب للغة الإنجليزية حتى تصبحي متمكنة منها ويمكنك الدراسة هنا

مي: ألا يوجد مدارس عربية

عصام: يوجد بالفعل لكنها باهظة الثمن

سناء: لا تتعجلي الأمور يامي سأتدبر أنا وأنت تلك المشكلات، سأطلب من زميلة لي في مصر إرسال الأوراق الخاصة بمدرستك وتوثيقها لأن ما حدث لم يعطيني الفرصة لأفعل شيء

عصام: لكن يجب أن ترسلي لها توكيل أولاً، غداً أذهب معك لعمله

قالت سناء ساخرة: أخشى أن أعطلك عن عملك

عصام: الأمر لن يستغرق وقت اطمئني

ليل الغربة طويل طويل.. خاصة لمن ترك وطنه مرغماً..

جلست سناء في الحجرة الخاصة بهم، عقلها مليء بالأفكار...

ما كانت تتوقع يوماً أن يقول لها أخيها تلك الكلمات بعد أن لجأت إليه لا حيلة لها ولا قوة، لكن ماذا ستعمل هنا ؟ هل تستطيع العودة إلى مهنتها التي أطاحت بكل شيء ؟ هل تمتهن عملاً آخر؟.. هل.. هل..

يوم جديد يشرق على المدرسة بلا مي، يفتقدها الأصدقاء.. المعلمون.. ميكروفون الإذاعة.. حتى نسمات الهواء.

الأستاذة نوال تتجه نحو صديقات مي تسأل عنها وعن غيابها طوال الفترة السابقة وتسألهم هل اتصلوا بها فيؤكدن أن هاتفها مغلق

يساورهم جميعاً القلق، ترى ماذا حدث معها

هدى: لا لن أنتظر أكثر من ذلك سأذهب اليوم إلى منزلها

نوال: وإذا عرفت شيء أخبريني يا هدى.. مي عزيزة علي كابنتي تماماً

هدى: وهي أختي وصديقتي الأسيرة، سأذهب لها اليوم وأخبر حضرتك بما حدث..

عمر يرقب المشهد وتتهادى إلى سمعه تلك العبارات بدون وضوح واسم مي يتردد بنبرة توحي بالقلق.. يتمنى لو يطلب من هدى أن تخبره بما حدث مع مي، لكن حياؤه يمنعه ويخشى أن يثير ذلك انتباه صديقاتها فتراجع عن تلك الفكرة..

مضى اليوم وهو شاردٌ لا يستطيع التركيز مع المعلم، يمسك القلم فيرسم خطوط بلا معنى مشوشة ومكدسة، منحنيات وأسهم وظلال، لا يدري سوى شيء واحد أن هذه الخطوط تعطيه إحساس بالراحة بعض الشيء لأنه يعبر بها عما يدور في رأسه..

زجر نفسه قائلاً: لمَ كل ذلك القلق؟ هي مجرد زميلة ولا زلت صغير على تلك المشاعر كما يقول لي دائماً أبي.. يجب أن أركز في الدراسة

ترك القلم من يده وبدأ يحاول جاهداً الاستماع لما يقوله المعلم

في المساء ذهبت هدى لزيارة مي في منزلها، رنت جرس الباب لكن أحداً لم يجب، انتظرت بعض الوقت وكررت المحاولة بلا فائدة، أمسكت الجوال وحاولت الاتصال بها لكن الهاتف لا زال مغلقاً.. تذكرت أن والدة مي اتصلت بها يوم عيد ميلادها فبحثت عن الرقم في سجل المكالمات وحاولت الاتصال لكن..

ازداد القلق في نفسها فقررت أن تجازف وتسأل الجيران، طرقت الباب المجاور لهم فتحت لها سيدة مسنة وقالت: من

هدى: آسفة لإزعاجك.. أنا صديقة مي وأريد أن أسأل عنها فلم أرها منذ خمس أيام ولا أحد في البيت

السيدة: أهلا يا ابنتي، للأسف لم أرَهم فعلاً منذ ذلك الوقت يمكنك أن تسألي البواب فقد يكون على علم بشيء

هدى: شكراً لك

نزلت هدى الدرج وبحثت عن البواب لم تجده فوقفت لانتظاره ودقات قلبها تعلو، بعد ربع ساعة لمحته.. اقتربت منه وقالت: مساء الخير، أنا صديقة مي ابنة الأستاذة سناء الصحفية هل تعرف أين هي؟

البواب: للأسف لا أعلم يا ابنتي، منذ أيام وفي موعد مبكر جداً رأيت الأستاذة سناء وابنتها ومعهم حقائب سفر كثيرة سألتهم إن كانوا في حاجة إلى مساعدة فأخبروني أنهم مسافرون وطلبت مني الأستاذة إحضار تاكسي لكن لا أعلم إلى أين فلم تخبرني بشيء، لكن الحزن كان بادياً عليهما بشكل كبير، لعله خير يا ابنتي

هدى: لقد زاد قلقي أكثر.. لو كان السفر للعزاء مثلاً لما أخذوا معهم كل تلك الحقائب، ترى ماذا حدث؟!

البواب: حفظهم الله وراعهم هم من خيرة السكان هنا.

هدى: أمين يا رب، شكراً يا حاج ثم أخرجت ورقة ودونت رقم هاتفها وأعطته له قائلة: هذه نمرتي إذا علمت شيء أرجوك اتصل علي.

انصرفت هدى وقد زاد يقينها بأن أمر كبير قد حدث مع مي وما يقلقها أنه حدث بعد عيد ميلادها مباشرة وتذكرت مكالمة والدة مي لها وتأخرها في الوصول فزاد خوفها على صديقتها الأسيرة

ذهبت سناء مع أخيها لعمل توكيل لصديقتها في مصر بعد أن أخبرتها بأنها في زيارة لأخيها وأنه أقنعهم بالبقاء معه واستخرجت توكيل آخر خاص بالبنوك حتى ترسل لها ما تبقى من حسابها في مصر، منى لم تكن مقتنعة كلياً بكلام صديقتها لكنها آثرت عدم الضغط عليها حتى لا يكون ذلك تدخلا في شؤونها

عندما أنهت الإجراءات عادت إلى المنزل بينما ذهب عصام إلى العمل، وجدت زوجة أخيها موجودة في الحديقة تقوم ببعض التمارين الرياضية، قالت لنفسها يبدو أنها لا تنوي الذهاب إلى العمل اليوم، اقتربت منها وألقت عليها تحية الصباح، ردت عليها دون أن تتوقف عن الرياضة ثم سألتها: ماذا فعلت هل تمت المهمة؟

سناء: الحمد لله أنهيت الإجراءات

جوليا: وما رأيك في سيدني

سناء: بلد جميلة ومبهرة لكن ليست أجمل من مصر

جوليا: غريبة لقد أخبرني زوجي غير ذلك

سناء: لأنه لم يرَ مصر كما رأيتها أنا وكل من أحبها

جوليا: ها وهل بحثت عن منزل؟

فوجئت سناء بالسؤال ألهذه الدرجة وجودها غير مرغوب فيه، لكن هذا الشعور اختفى عندما رأت ابتسامة صافية على وجه جوليا لا تحمل أي

معاني الضيق فردت قائلة: للأسف لم تتح الفرصة وخفت أن يتأخر عصام عن العمل

جوليا: لا بأس أنا في إجازة اليوم يمكنني اصطحابك في المساء، لكن ماذا تنوين من ناحية العمل؟

سناء: لا أدري كنت أعمل صحفية ولا أعرف إن كنت سأتمكن من مزاولة المهنة هنا أم لا

جوليا: سيستغرق ذلك وقتا، أنصحك أن تقدمي على معونة كل المهاجرين الجدد يفعلون ذلك، لكنها حل مؤقت فالحياة هنا مكلفة ولا بد من العمل

كانت سناء تتأمل تعبيرات جوليا محاولة أن تقرأ من خلالها ملامح ثقافة جديدة تعايشها لأول مرة وعليها أن تتقبلها كما هي، لا يمكنها أن تغضب منها فتلك طبيعة مجتمع ويبدو أن أخيها أصبح متأثراً بنفس الثقافة إلى حد كبير

ابتسمت سناء وقالت: عن إذنك سأذهب لأستريح بعض الشيء

جوليا: تفضلي

ثم استكملت ما تقوم به من رياضة بينما صعدت سناء إلى الحجرة، وجدت مي تجلس أمام التلفاز وعلامات الغضب واضحة على وجهها

سناء: ماذا بك يا مي ؟

مي: أشعر بالملل.. لماذا لمْ تأخذيني معك كنت أريد التعرف على المكان

سناء: لا تتعجلي أمامنا وقت طويل هنا لا يعلم مداه إلا الله

مي: كما أنني لم أجد واي فاي هنا، زوجة خالي ترفض استخدامه من أجل أبنائها الصغار.. وما ذنبي أنا

سناء: عندما نذهب إلى منزلنا الجديد سأحضر لك واحدلا تقلقي

مي: ومتى ذلك أريد أن أشعر بالاستقرار وأذهب إلى المدرسة، وإن كنت أخشى التعامل مع الآخرين هنا

سناء: كل شيء في أوله صعب لكن.. سيكون لك أصدقاء وستعتادين على الحياة هنا وربما..

مي: أفتقد أصدقائي بشدة يا أمي

ربتت سناء على كتف ابنتها وقالت: الصبر يامي لا نملك إلا الصبر وأعدك أن أجعل حياتك أسعد حياة وأعوضك عن كل شيء لكن امنحيني بعض الوقت حتى أتدبر أمري

مي: وأنا أثق في وعودك يا أمي وآسفة إن كنت أثقلت عليك لكنك لست فقط أمي بل صديقتي وحبيبتي أيضاً

صباح آخر بلا مي.. عمر يترقب وصول هدى ربما يستشف شيء من تعبيرات وجهها، ظل يتجول في فناء المدرسة يتخيل مي تدخل من البوابة وتلتف صديقاتها حولها وهي تحاول الإجابة على الأسئلة الكثيرة التي تحاصرها ، وتارة يراها تمسك الميكروفون لتلقي كلمة الصباح بصوتها المميز الرقيق ..لكن شيء من ذلك لم يحدث.. رأى هدى تتجه نحو الأستاذة نوال ويدور حوار بينهما، يتغير وجه الأستاذة نوال ويبدو الحزن واضحاً.. يزداد قلقه ويمتعض وجهه، لا بد أن يعرف ماذا حدث مع مي، يقدم خطوة ويتراجع أخرى، يبدأ الطابور وهو يتجه إلى الأستاذة نوال فينهره مدرس التربية الرياضية ويطالبه بالوقوف في صفه فيضطر إلى الإصغاء، بدت مراسم الطابور في نظره طويلة أكثر من المعتاد، وعندما أمسك المدير الميكروفون توقع سماع أخبار سيئة وازداد خفقان قلبه حتى كاد أن يخرج من صدره..

لكن انتهاء الإذاعة دون خبر جديد جعله يهدأ بعض الشيء

فكر في حجة يسأل بها عن مي فتذكر جريدة المدرسة وأن مي كانت ستشارك بمقال فيها فشجعه ذلك واتجه مرة أخرى الى الأستاذة نوال أثناء صعود الطلاب

عمر: صباح الخير يا أستاذة

نوال: صباح النور يا عمر

عمر: كنت أود أن أسألك عن مي لأن مجلة المدرسة قربت على الانتهاء وباقي المقال الخاص بها

نوال: للأسف لا أحد يعرف شيء عنها

بشيء من التسرع قال عمر: وماذا قالت لك هدى ثم انتبه واستكمل قائلاً: رأيتها تحدثك

قرأت نوال تعبيرات وجهه المرتبكة وأدركت أنه كان يراقب حوارهما منذ الأمس وأن الأمر ليس مجرد مقال فقالت: وكيف عرفت أنها كانت تحدثني عن مي

عمر: مجرد استنتاج، ثم حاول الهروب من الموقف قائلاً: عن إذنك لقد تأخرت عن الحصة

عندما عاد عمر إلى منزله فتح اللاب باحثاً عن أي ظهور لمي لكن لم يجد سوى منشورات لصديقاتها على يومياتها يردنَ الاطمئنان عليها لكن لا إجابة، فكر في أن يفعل نفس الشيء لكنه تراجع، لا يصح ذلك وهي لن تتقبل أن يكتب ولد على يومياتها ليسأل عنها

فتح الماسنجر وكتب جملة واحدة "مي أين أنت؟"

أمسك ورقة وقلم وراح يعبر عما يجول بخاطره من مشاعر... أنهى كلماته بنفس السؤال الذي يتمنى أن يسأله لها "مي أين أنت"

دخل عليه والده الذي كان عائداً من العمل

الأب: أهلا عمر، لماذا لم تغير ملابسك لقد أعدت والدتك الطعام هيا، وهم بالانصراف لولا أن استوقفته الورقة التي أمامه، جذبها عمر سريعاً وقال: سأغير ملابسي وأحضر حالاً..

الأب: ما الذي في هذه الورقة هل لي أن أقرأها

احمر وجه عمر وقال: لكن يا أبي..

جذبها الأب وقرأ ما بها ثم قال

الأب: لا تظن أنني لا أشعر بالتغيير الذي طرأ عليك منذ فترة

انظر يا بني أنا لا أعرف من هي مي ولا سر تعلقك بها ولكني أكبر منك ومررت بالمرحلة التي تمر بها الآن وأجزم بأن المشاعر في تلك السن أشجار بلا جذور سرعان ما تذبل وتموت

عمر: أنا لا أدري يا أبي لماذا أتعلق بها ولا لماذا أترقب ظهورها ..لا يمكنني حتى أن أقول أنني أحبها، لا أعلم يا أبي هي مشاعر تسكنني رغما عني

الأب: لا زلت صغيراً وستمر بتلك المشاعر مراراً وتكراراً.. الحب الحقيقي لا يكون في مثل سنك أنت نفسك لا زلت في مرحلة تغير، ما يعجبك اليوم تزهده غداً، أذكرك أن هواياتك تغيرت كثيراً فنرى في كل عام شيء جديد يجذبك وتنجرف وراؤه.. مرة كرة القدم.. الإذاعة.. الرسم.. الموسيقى.. لا توجد ملامح واضحة لشخصيتك بعد، حاول أن تتجاهل تلك المشاعر فلم يأن أوانها بعد..

عمر: سأحاول يا أبي فأنا أريد أن أشعر بالاستقرار في حياتي خاصة وأن الدراسة أوشكت على الانتهاء وأحتاج إلى التركيز في الامتحانات

ربت الأب على كتف ابنه وقال: وأنا واثق بأنك ستنجح في ذلك ودع هذه الأمور للزمن الذي سيثبت لك أن مشاعرك كانت مجرد أحلام وخيالات

طوال الأيام التالية شغلت سناء بالبحث عن شقة مناسبة لها هي ومي، انتهت من الإجراءات اللازمة للاستفادة من الإعانة المقدمة للمهاجرين حديثاً، رغم إحساسها بالألم تجاه ذلك لكنها اعتبرت كل تلك الأمور فترة مؤقته إلى أن تصبح قادرة على الاعتماد على نفسها، ما كان يحزنها حقاً هو مي التي تركت مدرستها وأصدقائها وأصبح لزاماً عليها إتقان اللغة الإنجليزية في أقرب وقت ممكن لتكون قادرة على التعامل والفهم داخل المدرسة..

قبل انقضاء الشهر كانت سناء تستعد هي ومي للانتقال إلى الشقة الجديدة المكونة من حجرتان وصالة مفروشة بأثاث بسيط لكنه يفي بالغرض

أحضر عصام أحد الخدم ليساعدهم في حمل الحقائب وقبل أن ينصرف عانق مي وقال في مرح: ستأتين لزيارتي طبعاً

مي: طبعاً يا خالو المهم أن لا تنسَنا أنت

سناء: الحياة مشاغل يامي، أعاننا الله لنرد لخالك أفضاله علينا في هذه المحنة

عصام: لا تقولي ذلك يا سناء نحن أخوة

أومأت سناء برأسها في ألم قائلة: نعم إخوة

عصام: حسنا سأذهب الآن وإذا احتجتم لشيء اتصلي بي

سناء: مع السلامة

انصرف عصام بينما انشغلت مي في تأمل الشقة الجديدة التي تقع في الدور السابع، تطل شرفتها على حديقة صغيرة وتدخلها الشمس من كل جانب..
كادت مي تطير من الفرحة لأنها أخيراً ستشعر بالاستقرار، فرغم فخامة فيلا خالها إلا أن شعورها بأنها ضيفة خاصة عندما تعود زوجة خالها من العمل كان لا يمنحها إحساس بالراحة..
ورغم أنها كانت تتعامل معها ببساطة إلا أن حاجزاً ما كان يقف بين التقاء كل منهما
انتهت من وضع ملابسها في الدولاب ثم ذهبت إلى حيث وقفت والدتها في الشرفة وقد راحت في تفكير عميق فصاحت مي بصوت مرتفع: أمييييييي
انتفضت سناء مذعورة ونظرت إلى مي التي انهارت في الضحك وقالت: أهكذا يا مي لقد أفزعني صوتك
ضحكت مي وقبلت أمها وهي تقول: أضحك معك يا أمي
سناء: تعالي ندخل يا مي أريد أن أتحدث معك
مي: تفضلي
جلست سناء ومي في الصالة فبدأت سناء الحديث قائلة: كما ترين تغيرت حياتنا بين يوم وليلة، خالك وإن ساعدنا اليوم لن يساعدنا غداً أو ربما لن تسمح له زوجته بذلك سنعيش بما تسمح لنا به الامكانيات المتاحة وسأسعى للبحث عن عمل، أرجو أن تتحملي معي تلك الظروف.

مي: لا زلت لا تثقين بي يا أمي لم أعد طفلة صغيرة لا تقدر المسئولية، كل ما يشغلني الآن المدرسة وذلك القرص اللعين

سناء: غداً سأذهب لأسأل عن مدرسة مناسبة لك بأقل مصاريف دراسية المهم أن تنهي القرص لأنه من شروط قبولك في المدارس هنا، وهناك شيء آخر أريد التحدث معك فيه.. أريدك كما عهدتك دائماً مي العاقلة المحترمة التي لا تتأثر بأي سلوك سيء من حولها ، الناس هنا ليسوا مثلنا والقليل من ستجدينه مثلك فلا تتأثري بأي شيء من ذلك وتمسكي بمبادئك الجميلة

مي: سأكون عند حسن ظنك دائماً وأعدك أن تفتخري بي وترفعي رأسك وتشيري إلي قائلة أنا أم مي.

تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن.. وها هي سفن الرحيل ترسو بهم في مكان غريب لا أصدقاء ولا ذكريات...لا..

ورغم وجود أخيها معهم إلا أنه أضاف إلى مشاعرها مزيداً من الغربة ..

ها هي تعيد ترتيب كل حياتها من جديد، تنسلخ من كل شيء كان يوماً لها .. تتأمل ابنتها الشابة التي تخطو خطواتها الأولى في عالم الأنوثة ، تخطوها وسط مجتمع يختلف كثيراً عنها في قيمه وعاداته وتقاليده ..تخاف عليها كل الخوف لولا ثقتها بشخصية ابنتها التي تربت على الحرية المسؤولية

ها هي مي تذهب مدرستها الجديدة تستبدل الحجاب ببونيه وكوفية لأن الحجاب ممنوع عندهم في المدرسة وكان لا بد من التحايل

كانت نظرات الدهشة تحيط بمي لردائها المختلف عنهم، اقتربت منها إحدى الفتيات ذات عيون ملونة وشعر بني وراحت ترمقها بإشفاق ثم قالت لها: هل أنت مريضة؟

مي: لا يا عزيزتي لماذا؟

روز: لأنك تخفين شعرك، هل عندك كنسر

مي: لا ولكن هذا هو ردائي الذي اعتدت عليه منذ فترة

ارتعدت البنت وقالت لها: أنت محجبة؟

نظرت مي حولها وقالت: اخفضي صوتك حتى لا تسببي لي مشكلات

نظرت روز في عيني مي الممتلئتين بالبراءة وقالت: حسناً مي لن أخبر أحداً هذا أول سر بيننا، من أين أنت

مي: من مصر

روز: أنا من الجنوب لكن أمي عملها هنا في سيدني لكني أعشق قريتي في الجنوب أكثر، وراح الحديث يدور بين روز ومي وقد شعرت كل منهما بالراحة تجاه الأخرى

رد فعل روز اختلف كثيراً عن باقي الزميلات فقد تجمع حولها ثلاثة من فتيات المدرسة يبدو عليهن التمرد والتشرد إلى حد كبير فقالت لها إحداهن: لماذا تخفين شعرك هكذا الجو ليس باردا هذه الأيام

مي: حرية شخصية

الفتاة: لا أنت مريضة تساقط كل شعرك

مي: لا هذا غير حقيقي

الفتاة: كاذبة أرينا إذا شعرك

مي: هذا أمر لا يخصك

اقتربت منها الفتاة وخلعت عنها غطاء رأسها فانسدل شعر مي فغضبت بشدة وجرت وراءها محاولة إحضار غطاء رأسها لكن الأخرى راحت تقذفه بعيداً.. بكت مي بكاء شديداً فتعاطفت روز معها وحاولت إحضار البونيه لها لكنها فشلت فأسرعت مي تضع الكوفية على رأسها ثم غادرت المدرسة عائدة إلى المنزل

كانت سناء ترتب بعض الأشياء في المنزل حين سمعت طرقات على الباب فذهبت لتفتح، وجدت مي أمامها ومظهرها غير طبيعي

راحت مي تبكي وعانقت أمها بحرارة وهي تقول: لن أذهب لهذه المدرسة مرة أخرى

سناء: لماذا يامي ماذا حدث أخبريني

مي: لقد سخروا مني وانتزعوا غطاء رأسي رغماً عني، لن أذهب هناك مرة أخرى أبدا

الأم: لا يا مي أنت أقوى من ذلك سأذهب معك غداً لمقابلة المدير وحل هذه المشكلة، لا.. بل يجب أن أذهب الآن لن ننتظر حتى الصباح

مي: لا أستطيع، لا أريد الدخول إلى هناك مرة أخرى، لقد أهينت كرامتي وهذا لم يحدث معي من قبل

سناء: مي أنت كبيرة الآن وتعلمين نظرة المجتمع هنا للمحجبات، الصبر يا مي سيتقبلون حجابك عندما يعرفون شخصيتك وأفكارك الحقيقية، يجب أن تكوني قوية يا مي وإلا انهرنا جميعاً

ضمت مي لبعض الوقت ثم راحت تعدل لها رابطة شعرها وهي تقول: مي حبيبتي لنذهب الآن

مي: دعيني الآن يا أمي وغداً ننظر في الأمر

سناء: أهم شيء يجب أن تضعيه في اعتبارك هو تعليمك، يجب أن تحرصي عليه فهو سلاحك في هذه الحياة

مي: حسناً يا أمي سأذهب لأنام بعض الوقت

سناء: تفضلي وعندما تستيقظين سنذهب معاً لشراء روتر حتى يمكنك الحديث مع أصدقائك في مصر

تهلل وجه مي وقالت لأمها: حقاً يا أمي أخيراً

سناء: لقد تبقى معي بعض المال الذي اقترضته من خالك لهذه الشقة وسنشتري منه الروتر فأنت تعلمين أنني لا أريد أن أنفق من رصيدي الذي حولته من مصر فسأخصصه لنفقات الدراسة إلى أن أجد عملاً

مي: إذاً لا داعي للنوم وهيا الآن فأنا في غاية الشوق لمعرفة أخبار أصدقائي

سناء: دائماً متعجلة، سأستبدل ملابسي وأذهب معك.

في المساء جلست مي أمام اللاب الخاص بها، كانت في شوق للتحدث مع صديقاتها ومعرفة ما حدث في غيابها، عندما فتحت صفحتها وجدت العديد من الإشعارات والرسائل بدأت بقراءة الرسائل بلهفة.. رغما عنها غمرت وجهها الدموع، أسئلة كثيرة ورغبتهم في الاطمئنان عليها تفوق توقعاتها، رسالة من هدى تخبرها أنها ذهبت لزيارتها في المنزل ولم تجدها وأنها في غاية القلق والخوف عليها..

ورسالة منه ..من عمر.. مختصرة جداً لكن في غاية الرقة" مي.. أين أنت" خفق قلبها لتلك الرسالة أكثر مما فعلت باقي الرسائل... وذهبت إلى عالم آخر غير عالمنا

عالم ليس فيه سوى هي وعمر وكثير من الذكريات البريئة..

حاولت التفكير في الرد المناسب على كل تلك الأسئلة، هل تعد منشور عام للجميع؟ هل تخبرهم بما حدث؟ لا تدري.. ظلت في حيرة من أمرها لبعض الوقت ثم توصلت في النهاية إلى أن تخبرهم في منشور عام أنهم اضطروا للسفر المفاجئ لوجود فرصة عمل لوالدتها وأن خالها ألح عليهم بالحضور سريعاً....كان هذا رداً مناسباً بعيداً عن سرد تفاصيل ما حدث، ثم ردت على رسائل الجميع ولم تترك أحداً.. استبقت الرد على عمر للآخر ..

هل تجيبه؟ هل تتجاهله؟

حتماً سيعرف من صديقاتها ومن المنشور الخاص بها ، لكن قلبها لم يطاوعها قالت لنفسها: لن تضر رسالة قصيرة جداً.. فكتبت: " أنا في أُستراليا.. لا أعرف إن كنت سأعود أم لا"

كانت هذه الرسالة مطمئنة وصادمة لعمر في نفس الوقت، ما معنى ذلك؟ معناه أنه ربما لا يراها مرة أخرى.. كيف يحدث ذلك وبهذه السرعة.. لابد أنها تخفي الكثير.. يجب أن يسأل هدى، إجابة مي غير مريحة بالمرة ..

ثم تدور برأسه كلمات مضادة: ماذا بك يا عمر مي مجرد زميلة إنس الأمر وفكر في مستقبلك اعتبرها حلم جميل وانتهى لم يربطك بها أي شيء في يوم من الأيام أفق يا عمر قبل أن تقع فريسة للأوهام ..

ويتذكر كلمات والده" لا زلت صغير وستغير مشاعرك وأفكارك أكثر من مرة"

لكن في الصباح كان القرار مختلفاً.. فبمجرد أن رأى هدى حتى اقترب منها وسألها عن مي بحجة المقالة المطلوبة للمجلة فأخبرته هدى أنها سافرت فجأة لأن هناك فرصة عمل تنتظر والدتها وألح عليها خالها أن تأتي سريعاً

شكرها عمر وإن كانت الإجابة لم تضف له الكثير ولا زال مقتنعاً أن شيء كبير حدث مع مي

في المساء كانت مي قد صففت شعرها على شكل جديلتين ووضعت بهما بعض الشرائط.. حنين فطري ينتابها من وقت لآخر لمرحلة الطفولة، كانت تحاول أن تنسى ما حدث لها اليوم في المدرسة.. غير قادرة على اتخاذ قرار بشأن ذلك..

اتجهت إلى حيث جلست أمها وقالت لها مداعبة: ألن تأخذيني في حضنك
ابتسمت لها الأم وعانقتها وراحت تمسح على رأسها بحنان وهي تقول:
حاولي أن تنسي ما حدث اليوم وسأذهب معك غدا لحل المشكلة
مي: لا أريد أن أذهب غدا على الأقل ليعلموا أنني غاضبة
سناء: ليس هذا هو الحل يا مي يجب أن يعرفوك أولاً وقتها لن يفكر أحد في تصرف كهذا فأنا واثقة بأنك قادرة على كسب مودتهم
هنا سمعوا رنين جرس الباب، بلهفة جرت مي ونظرت من العين السحرية وجدت فتاة صغيرة ففتحت لها الباب ، إنها روز زميلتها التي حاولت الدفاع عنها في الصباح، نظرت لها مي بذهول وقالت: كيف عرفت عنواني؟
مي: من سجلات المدرسة طبعا، هل تسمحين لي بالدخول
ارتبكت مي وقالت: تفضلي يا روز، ثم اقتربت من أمها قائلة: أمي الصحفية الكبيرة الكل يعرفها في مصر
روز: أهلا يا طنط
سناء: أهلا يا ابنتي تفضلي

مي: روز زميلتي في المدرسة التي حكيت لك عنها

سناء: أهلاً بك يا حبيبتي وأشكرك على موقفك النبيل

روز: لقد غضبت جداً لما حدث مع مي وتشاجرت مع تلك البشعة وأبلغت أيضاً إدارة المدرسة واتحاد الطلاب الذي رفض ما حدث بشدة

مي: وماذا يفيد ذلك وقد يتكرر هذا الموقف مرة أخرى

روز: لن نسمح بذلك أبداً سنخصص برنامج الإذاعة غداً عنك وسنندد بما حدث فقط ساعدينا

مي: كيف؟

روز: كوني جاهزة للرد على أي سؤال يطرح عليك حول الزي الخاص بك، رأيك في مختلف الأمور، في المكان.. كل ما يمكن أن يخطر ببالك لو كنت مكان تلك الطالبة وسنساعدك ونكون إلى جوارك

شعرت مي بحماس كبير وقالت: الكرة إذا في ملعبي

روز: ماذا تقصدين؟

مي: لا هذا تعبير مصري يحتاج وقت لشرحه

سناء: أنت رائعة يا روز لقد أعدت الحماس إلى مي بعد أن كانت مضربة عن الذهاب للمدرسة

روز: هذا ضعف ولا أرى أن مي من هذا النوع الذي يستسلم بسهولة.. بالمناسبة أحلم بزيارة مصر وأتمنى أن تكوني معي

ترقرقت الدموع في عيني مي وقالت: ليت هذا يحدث سأكون أسعد مخلوقة

ثم ساد صمت لبعض الوقت قطعته سناء قائلة: كل شيء بيد الله
غمرت الدهشة نفس روز لهذا الشوق الذي تراه في عيني مي وسناء وتساءلت لماذا تركوا مصر إذا وهمت بأن تسألهم لكنها تراجعت خوفاً من أن تكون متطفلة
روز: سأنتظرك غداً
مي: إن شاء الله وأشكرك جداً من كل قلبي

انصرفت روز فذهبت مي إلى حجرتها أحضرت بعض الورق وبدأت تتخيل الأسئلة التي يمكن أن تطرح عليها وتجهز إجابات لها، وتحدد الكلمات والجمل التي تعبر بها عن نفسها، لكنها أثناء ذلك اتخذت قرار هو بمثابة جملة اعتراضية.. لن تظهر سوى بحجابها العادي.. لن تجامل أحداً.. إما يتقبلوها كما هي أو تترك تلك المدرسة إلى الأبد..

خشيت أن تصارح أمها بقرارها فتقنعها بالتراجع لكن ما حدث في الصباح كان عكس توقعاتها لرد فعل أمها فقد ارتدت زيها المدرسي وراحت تزين وجهها بطرحة بيضاء من الحرير
حملت حقيبتها واتجهت لأمها..
نظرت سناء لعيني مي اللتان تشرقان بالحماس وقالت لها: أعلم أنك على قدر الموقف وستعودين إلي بأخبار جيدة.. استمري يامي
قبلت مي أمها واتجهت إلى باب الشقة ثم استدارت وقالت: دعواتك يا أمي

الطريق إلى المدرسة ليس بالبعيد، طريق تزينه أشجار ذات مظهر جذاب لا يشعرها بأنها تسير في طريق بل وسط حديقة غناء

تشعر أنها مقبلة على اختبار، خفقات قلبها تزداد ويداها ترتعشان.. وكلما اقتربت من المدرسة زاد ذلك الحماس وتلك الربكة بداخلها

بداخل الفناء كانت روز تقف في نفس المكان الذي التقت بها فيه بالأمس..

اقتربت روز منها وعلا وجهها ابتسامة مترددة عندما رأت الطرحة على رأس مي سألتها: لماذا لم تأتي مثل الأمس؟

مي: لأن هذا هو زيي الحقيقي إما أن تقبلوني كما أنا أو أذهب لمدرسة أخرى

روز: المهمة أصبحت أصعب بعض الشيء لكن لا بأس سننتصر

ثم جذبتها من يدها وأحضرت المايك وبدأت تلفت انتباه الطلاب والمعلمين بأنشودة مرحة قالتها بصوت عذب رقيق..

توجهت الأنظار نحوهما التي تنوعت بين الدهشة والنفور من مي..

انتهت روز من الأنشودة ثم قالت: اليوم معي ضيفة رقيقة جاءت من مصر من أرض الفراعنة، الحضارة التي عجز العالم حتى الآن عن كشف أسرارها.. ستقدم لكم نفسها ونحاورها ربما تكشف لكم كلماتها عن بعض هذه الأسرار

تفضلي يامي وعرفي نفسك أولاً

أمسكت مي المايك وهي تشعر أن صوت نبضات قلبها ينتشر في أرجاء المدرسة

بينما وقف أحد الطلاب بعد ان أشارت له روز ليصور مي وهي تتحدث

مي: أنا مي.. أتشرف بأني مصرية، مسلمة محجبة، وسأتحدث أولاً عن حجابي الذي كان سبباً في نظرات الدهشة والاستنكار التي أراها داخل عيونكم.. أحب أن أقول أولاً أن التطرف فكر وتصرف لا مظهر وإن كنت لا أرى مظهري متطرفا

أفتخر بأن لي أم تدعى سناء شاكر صحفية متميزة حاربت الفساد بقلمها، الإرهاب بكل صوره لكن الفساد أبى إلا أن يحاول كسر قلمها وفرضوا علينا أسوأ عقاب وهو أن نترك وطننا ودون أي تأخير فكان المرسى هنا في أُستراليا

قبل أن أصل لكم قرأت كثيراً عن طباع الناس هنا وعلمت أنهم من أنماط مختلفة ولكنهم يحترمون الآخر ويتقبلون الاختلاف، لكني فوجئت بأن الحجاب ممنوع في المدرسة فكان علي أن أرتدي زيّاً آخر يحقق نفس الهدف ودون أن أخالف سياسة المدرسة و للأسف تعرضت للإهانة بسبب هذا الزي من بعض زميلاتي..

لكني أسامحهم لأنهم لم يتعرفوا علي بعد، وبعد تفكير قررت أن أحضر بالزي الذي اعتدت ارتداءه وأتمنى أن تقبلوني بينكم كما أنا

دوي التصفيق في أنحاء المدرسة جعل دموع مي تنساب على وجهها

أمسكت روز المايك وقالت: يمكنكم الآن البدء في الأسئلة الموجهة لضيفتنا

وتوالت الأسئلة على مي بعضها بدافع الفضول والتعرف أكثر على حياة مي وطباعها وهواياتها كفتاة مصرية وبعضها ذو طابع هجومي.. وهي تجيب بلباقة شديدة على كل الأسئلة التي كانت تتوقع معظمها.. اجتازت الحوار بجدارة ونالت إعجاب الكثير من المعلمين والطلاب

أنهت روز البرنامج وأخذت مي من يدها ليصعدا إلى حجرات الدراسة ولحسن حظها أن روز معها في نفس الفصل

لم يمر وقت طويل حتى قامت إدارة المدرسة باستدعائها فتوجست مي خيفة لكن وجه المدير البشوش أدخل الطمأنينة على نفسها

قال لها: مي يا ابنتي تعلمين أن الحجاب هنا ممنوع ولا أستطيع استثناءك وهذا الزي سيسبب لنا المشكلات

مي: إذاً لن أستطيع الإكمال هنا

فوجئت به يقول لها: كما تشائين أحضري والدتك غداً لاستلام أوراقك والمصروفات الدراسية

صدمت مي بهذه الجملة.. بهذه السهولة ورغم تعاطف الجميع..

عادت إلى المنزل وهي تشعر بخيبة أمل كبيرة فقد صعدت إلى أعلى قمة الأحلام ثم هوت فجأة وبلا مقدمات..

رأتها أمها فامتلأ وجهها بالحسرة ثم قالت من خلال دموعها: ليس أسوأ من تركنا حياتنا وبيتنا.. لا تيأسي يا مي سأجد لك حلاً، من الغد سأبحث عن عمل لأكون قادرة على توفير نفقات المدرسة العربية، لم تجبها مي.. انصرفت إلى حجرتها وارتمت على الفراش محاولة النوم ربما تنسى ما حدث معها منذ قليل

لكن الموقف لم ينتهِ في المدرسة عند هذا الحد فقد اجتمع اتحاد الطلاب وقرروا تنظيم احتجاج عما حدث مع مي، وأقنعوا زملائهم بالإضراب عن

الدراسة ورفعوا شعارات منددة بما حدث منها: نحن نريد مي معنا.. لا للعنصرية.. احترام الآخر.. وغيرها..

اضطر مدير المدرسة لعمل اجتماع مع تلك القيادات ودار حوار طويل بينهم لكن الإدارة رفضت الاعتراف بمي وهي محجبة واستمر الاضراب طوال اليوم دون أن يصلوا لحل.. وفي اليوم التالي كانت إحدى الصحف تصور المشهد داخل المدرسة باهتمام كبير وحوارات عديدة تجرى مع الطلاب فقدت خلالها إدارة المدرسة قدرتها على المقاومة فقرروا الاستجابة لمطالبة الطلاب بعودة مي على شرط أن لا ترتدي هذا الزي "الطرحة" وإنما تغطي شعرها فقط، تشاور الطلاب فيما بينهم فقرروا أن يخبروا مي أولاً وإن لم توافق يستمر الإضراب

عقب الدراسة ذهبت روز إلى مي وأخبرتها بما حدث وشاهدت معها صور الإضراب ولقاءات الصحافة معهم، سعدت مي لذلك سعادة غامرة وراحت تشرك أمها في مشاهدة الصور ثم عانقت روز وهي تقول: أنا لا أعرف كيف أشكرك

روز: المهم هل وافقت على شرطهم هذا

فكرت مي لبعض الوقت ثم قالت: لا مشكلة سأوافق لأثبت لهم أننا لسنا متزمتين المدرسة هي التي يجب وصفها بذلك فلا فرق بين الشكلين سوى في

الرمز الديني الذي يخافون منه ويعتبرونه رمزاً للإرهاب، سأثبت لهم أن هذا التفكير لا علاقة له بالصحة

ضحكت روز وقالت إذا سأذهب لأخبر زملائي بأننا نجحنا وفي انتظارك غداً كواحدة منا يامي

اقتربت مي من روز وعانقتها وهي تقول: لقد عوضني الله عن أصدقائي في مصر بك

الفرحة تغمر قلب مي وحنينها للتعبير عن ذلك لا مثيل له..

فتحت الحاسوب وبدأت في مشاركة الصور التي شاهدتها منذ قليل على صفحتها الشخصية.. كانت تريد أن يشاركها أصدقاؤها في مصر تلك السعادة ثم أغلقت الحساب ولم تنتظر تعليقات أصدقائها فالتوقيت في مصر الآن الثالثة صباحاً ولا بد أنهم نيام وخاصة أنه موسم الدراسة

راحت تستعيد ذكريات الأيام الماضية منذ دخولها المدرسة وحتى حضور روز لها الآن ، أحداث جديدة وحياة جديدة لم تكن في الحسبان.. يجب أن تثبت للجميع أن ثقتهم بها ودفاعهم عنها كانا في محلهما

ستواصل تنمية قدراتها في اللغة الإنجليزية بل ستأخذ قرصات في لغات أخرى إن سمحت الظروف المادية لها بذلك.. ستبذل كل جهدها لتعوض ما فاتها من دروس..

كانت الساعة في مصر تشير إلى السادسة صباحاً حين استيقظ عمر وتوضأ وصلى الفجر، لا زال هناك وقت كاف قبل الذهاب إلى المدرسة يمكنه فتح حسابه على الفيس لبعض الوقت..

شغوفٌ هو بتتبع أخبارها رغم القرار الذي اتخذه بعدم الانجراف وراء مشاعره، لكنه برر تصرفه بأنها زميلة وتمر بظروف صعبة ولا بد أن يطمئن عليها " كاذب يا عمر"

شاهد الصور التي نشرتها مي وشعر بسعادة تملأ وجدانه عنما قرأ المنشور فكتب تعليق قصير يعبر به عن إعجابه بما حدث " دعواتي لك بالتوفيق"

هي مي ذاتها لم تتغير، صاحبة الشخصية المميزة والمبادئ الشامخة التي لا تقهرها الأيام.. لكم هو فخور بها ويتمنى لها من كل قلبه أن تنجح في دراستها وتكون في أعلى منزلة ..

ارتدى ملابسه وهو يدندن بأغنية مرحة، ما لبث أن توقف وبدأ بتوبيخ نفسه قائلاً: ألم نتفق معاً أن ننساها.. لا زلت صغيراً وأمامك دراسة وتحديد مستقبل ويجب أن تكون مستيقظاً حتى تنتهي منها، ثم من أدراك أنها تفكر فيك؟ مشغولة هي الآن بتلك القارة الساحرة.. انس الأمر ولا تبالغ في ردود أفعالك ..أنهى الحوار وحمل حقيبته المدرسية متوجهاً نحو الصالة ، كانت أمه قد أعدت طعام الفطور نادته قائلة: عمر صباح الخير

عمر: صباح النور

الأم: انتظر حتى تتناول فطورك

عمر: لا يا أمي سأتأخر

الأم إذاً انتظر حتى أعد لك السندويتشات

عمر: سأشتري أي شيء من المدرسة.. ثم انصرف ولا زالت الأفكار تحاصره فيؤيدها تارة ويهاجمها تارة أخرى..

لم تكن مي قد عادت بعد من المدرسة.. كانت سناء تجلس في انتظارها..
شعرت بحنين لصوت العندليب فبحثت عن أغنية كانت تروق لها كثيراً "موعود" لتلك الأغنية ذكريات عديدة داخل نفسها والد مي كان عاشقاً للعندليب وكثيراً ما سمعا تلك الأغنية معاً تذكرت كيف كان حرصه على تسمية مي بهذا الاسم لإعجابه الشديد بالأديبة مي زيادة ابتسمت يومها وقالت له ستجعلني أغار
الزوج: حبيبتي ليس في قلبي امرأة غيرك
كثيراً ما كان يغلق حجرة المكتب عليه لينتهي من كتابة قصيدة جديدة فهو يحب الهدوء الشديد في هذه الحالة ويزعجه أي صوت خارجي داخل المنزل، وكانت حريصة كل الحرص أن لا يحدث ذلك فتأخذ مي وتدخل إلى حجرتها لتلعب معها وتقص عليها بعض القصص..
آه.. يا لها من ذكريات.. أين هي الآن من كل ذلك
لكم تشعر بافتقادها لوجوده أكثر من أي وقت مضى فالأيام صارت تمر ثقيلة
حتى زيارتها لأخيها أصبحت تتم على فترات متباعدة لما لمسته من فتور في معاملته لها وانشغاله الدائم بالعمل.. ويح الغربة ماذا صنعت بأخي..
سمعت صوت جرس الباب فهرولت لتفتح بسعادة
مي: مساء النور

سناء: مساء النور يا حبيبتي اشتقت إليك كثيراً

مي: كان يوم مجهد لكنه ممتع على أي حال فالأنشطة هنا رائعة ومتنوعة والامكانيات عالية.. أنا سعيدة جداً يا أمي اليوم

سناء: وما أخبار أصدقائك

مي: الكل يرحب بي لقد أصبحت نجمة المدرسة اللامعة

سناء: وسيزداد بريقك عندما يتعاملون معك أكثر، سأذهب لإعداد الطعام

مي: حسناً سأبدل ملابسي وأساعدك

ثم دخلت حجرتها وعادت بعد قليل ودخلت المطبخ وهي تقول: أمي.. روز تريد مني أن أذهب معها إلى مزرعة جدها في نهاية الأسبوع

سناء: ماذا.. روز من؟

مي: صديقتي التي حضرت لزيارتي مرتان أنسيت يا أمي

سناء: لسنا في مصر وأنا لا أعرف من هي روز ولا من أهلها

مي: أمي أرجوك وافقي إنها تقول أن المكان رائع وسيعجبني

سناء: إذا سأذهب معك هذا شرطي

تمتمت مي بعبارات غاضبة لم تسمعها الأم

سناء: تقولين شيء

مي: لا.. سأخبرها غداً

انتهوا من الغذاء وذهبت مي لتستريح قليلاً قبل البدء في المذاكرة، فتحت الحاسوب.. وجدت إشعارات كثيرة قد وصلتها بخصوص المنشور الذي نشرته بالأمس، استوقفها اسم عمر فراحت تقرأ التعليق بلهفة "دعواتي لك بالتوفيق" شعرت بفيض من الدفء يغمر كيانها وأحست أن الكون كله يضمها، فرغم قلة الكلمات إلا أن الاهتمام بدا واضحاً بها

لكن بماذا ترد عليه.. بعد تفكير اكتفت بكلمة واحدة "أشكرك"

أغلقت عينيها وأسندت رأسها على الكرسي وذهبت بذكرياتها بعيدا..

الوجوه تملأ المكان، صديقاتها.. أساتذة المدرسة.. الطلاب.. عمر.. صوت الجرس.. البرنامج الإذاعي.. الغناء.. أمطار غزيرة تهطل فجأة والكل يجري ضحكات.. شجار وعراك... صوت المعلم غاضباً من سلوك الطلاب المشاغبين والعديد من الصور تتكرر بينها صورة عمر يبتسم لها.. ازدحمت رأسها بالمشاهد وأحست بيد تربيت عليها فاستيقظت مذعورة، كانت أمها تقف إلى جوارها

سناء: مي.. انهضي لتنامي بعض الوقت فقد غلبك النعاس وأنت جالسة

مي: حسنا يا أمي سأنام ساعة واحدة، وغابت مرة أخرى في ذكرياتها وأحلامها.. صخب الماضي يملأ الفراغ من حولها

لمدة أسبوع كامل ظلت سناء تجوب طرقات المدينة تذهب إلى الشركات، المحلات، المدارس بحثا عن فرصة عمل لكن للأسف لم توفق في الوصول إلى شيء

كان عليها إما أن تستسلم أو تعمل في أحد الفنادق في غسيل الأطباق

فرصة العمل في الصحافة صارت بعيدة المنال خاصة مع خوفها من العودة إلى تلك المهنة التي كانت سبباً في كل ما حدث لهما..

قررت أن تتصل بأخيها فربما يجد لها حل، جاءها صوته ومن حوله أصوات سيارات وأشخاص كثيرة يتكلمون في صخب، يبدو أنه اجتماعٌ أو ما شابه ذلك

سناء: أهلا عصام ما هي أخبارك

عصام: بخير وأنت ما أخبارك وأخبار مي؟ ألن نراكم قريباً؟

سناء: سنأتي لزيارتكم قريباً بإذن الله لكن لا تنسانا أنت

عصام: إذا سمح لي الوقت سأحضر لزيارتكم فالعمل هنا كما تعلمين يأخذ كل وقتي

سناء: كنت أود أن تساعدني في البحث عن عمل فمنذ أسبوع وأنا أجوب الطرقات وأبحث على الإنترنت بلا جدوى

عصام: سأحاول، امنحيني بعض الوقت لكن لا أستطيع أن أعدك بشيء، آسف مضطر أن أتركك الآن مع السلامة

سناء: مع السلامة

شعرت سناء بخيبة أمل من هذه المكالمة، وندمت على أنها طلبت مساعدته لكن.. ربما يساعدها لا يجب أن تتعجل

الفراغ يكاد يقتلها خاصة أنها كانت تعمل في مهنة لا تعرف الراحة أبداً، تقضي معظم الوقت في العمل أما الآن.. تجلس وحدها لحين عودة مي من المدرسة في الخامسة مساء، خلال ذلك تنهي كل أعمال المنزل وتتصفح الجرائد والانترنت وتشاهد التلفاز ثم ينتهي بها الأمر إلى الملل والفراغ..

لا بدأن تعمل.. أن تجد أصدقاء وتكون حياة جديدة لها وإلا مات كل شيء جميل بداخلها، لا زالت الساعة تشير إلى الثالثة مساء، باقي ساعتين على عودة مي..

يا إلهي ماذا أفعل الآن؟

في نهاية الأسبوع استعدت مي ووالدتها للذهاب الى مزرعة جد روز بالجنوب

استقلا سيارة والدة روز، سيارة مريحة من النوع الذي يتحمل المسافات الطويلة وصعوبة التضاريس، طوال الطريق لم ترفع مي عينيها عن النافذة فكل ما حولها يثير فضولها بينما استغرقت سناء في ذكريات وأفكار عديدة، ومن حين لآخر كانت روز تفتح بعض الموضوعات لتقطع ذلك الصمت الذي ساد الطريق..

مع اقتراب وصولهم إلى المزرعة ازداد إحساسهم بارتفاع درجة الحرارة عن المدينة، أشارت روز إلى لافتة كبيرة قائلة: ها نحن قد اقتربنا لا بد أن جدي ينتظرنا منذ الصباح

سناء: لا بد أنه منزعج من الضيوف المتطفلين

روز: على العكس جدي اجتماعي جداً ويحب الزوار كما أنه يعيش وحده هنا منذ وفاة جدتي وزواج الأعمام

والدة روز: سيفرح كثيراً بكم فهو من عشاق مصر والمصريين

سناء: شكراً لك هي رحله لم نكن نتوقع القيام بها هنا

روز: ولن تندموا أبداً

مي: أمي انظري إلي تلك الأشجار غريبة جداً

سناء :كل ماهنا جميل وخلاب وجديد بالنسبة لنا

وصلوا إلى مزرعة جد روز استقبلتهم لافتة مبهجة الألوان عليها اسم جد روز وسور من الأشجار الخضراء

مي: ذوق جدك رائع

روز: لا تتعجلي ستعرفينه أكثر بعد قليل

مروا من خلال المشى الطويل ومن علي بعد لمحوا رجل مسن يجلس يتصفح الجرائد اقتربوا منه وبدأت روز تعرفهم عليه

ابتسم الجد في وداعة فظهر فمه الخالي من الأسنان ونظر اليهم بعيون نصف مغلقه من حرارة الشمس وقال: الجو اليوم رائع وستقضون وقتا ممتعا خذي ضيوفك يا روز ليشاهدوا المزرعة واتركيني مع ابنتي فضحكت روز وقالت: حسنا يا جدي سنغادر المكان ولن نعود الا عند موعد الغذاء فأنا اشتاق لطعامك جداً، تفضلي يا طنط

الطبيعة الخلابة تعطي مذاق خاص للمكان شعرت، مي بنسمات الهواء أكثر نقاء وراحت تسابق روز وتسبقها في كثير من الأحيان ولم تكف عن الأسئلة عن أنواع النباتات التي تراها لكن أمها شعرت بالإعياء فطلبت منهم أن يتركوها تستريح على أحد المقاعد تحت ظل شجرة عملاقة ويعودون لها فيما بعد

نظرت مي إلي روز بعد أن جلست والدتها وقالت: إذا ...

فهمت روز مقصد مي وجرت بسرعة فائقة ومن ورائها مي وضحكاتهم تغمر أرجاء المكان

مر الوقت سريعاً... لم تشعر مي ولا سناء بالبهجة منذ وصولهما إلي أُستراليا إلا في هذا اليوم وعند عودتهم إلي حيث استقبلهم الجد كان المكان خالياً

روز: هو الآن يجهز الطعام لا تقلقوا هو طباخ ماهر

سناء: أكيد فالإبداع والفن واضح في كل جزء من أجزاء المزرعة، لكن هل أذهب لأساعدهم ؟

روز: لا داعي سنساعدهم بعد تناول الطعام فهما يمارسان الآن هوايتهما المفضلة

سناء: لكن يا روز لماذا تتركان مكان بهذه الروعة

روز: رغم جمال المكان إلا أنه يبعد كثيراً عن أقرب مدرسة كما أن أمي لا يمكنها الاستغناء عن عملها في سيدني

سناء: ووالدك أين يعمل ؟

روز: لقد انفصل عن أمي منذ سنوات ولا نعرف شيء عنه

سناء: آسفه يا روز

روز: لقد اعتدنا علي ذلك ولم يعد يثير في نفسنا أي قلق

مي: روز.. لقد جعت كثيراً ألا نذهب لنري جدك انتهى من الطعام أم لا

سناء: عيب يامي انتظري حتى يناديا

روز: لا مشكله أبداً أنا أيضاً جائعة ..مي هيّا

فراحت مي تجري ممسكة بيد روز وسناء تنظر إليهما يغمرها إحساس بالراحة لأن مي وجدت صديقه طيبة ومخلصه مثل روز، لا تدري لماذا يذكرها المكان بقريتها التي عاشت فيها فترة الطفولة قبل أن ينتقل والدها للعيش في القاهرة ربما لرائحة النباتات، الشمس الملتهبة، طيبة الجد.

اقتربت من بعض الأزهار الوردية لتشم عطرها يحمل شيء من رائحة الوطن تنهدت بألم وقالت لنفسها: لكم أشتاق لك يا مصر أين أنا منك الآن ومتى يحين اللقاء.

كان هذا هو موسم الامتحانات في مصر، الأعصاب مشدودة ومن لم يفتح أي كتاب تجده الآن يجلس منهمكاً في قراءة مالم يقرأه طوال العام.

يحاول عمر أن يعطي أكبر جهد في المذاكرة وأن يغلق التفكير في أي موضوع ومن هنا قرر أن يغلق حسابه على الفيس بوك بل وأن يطلب من والدته إخفاء اللاب الخاص به لأن متابعه أخبار مي كانت من الأمور التي تشتت تفكيره بشكل كبير حتى عندما كانت تأتي صورتها في مخيلته كان ينهر نفسه ويندمج أكثر في مراجعه المواد الدراسية التي أمامه.

لم تكن مي قد بدأت امتحانات بعد وكان النظام علي كل حال مختلف في كل شيء فطوال العام تخضع لأكثر من اختبار لكن بلا شك هي اختبارات غير مربكة للأعصاب فكل شيء يتم بسلاسة وبلا قلق فالأمر معتمد على قدرات أخري بشكل أكبر من القدرة على الحفظ إلي جانب الاهتمام بالأنشطة وإعطائها درجات كبيرة وهي بارعة في الأنشطة المدرسية، كل هذا جعل قلقها أقل ما يمكن

سناء استسلمت للعمل في أحد المطاعم في غسيل الأطباق فلم تجد فرصة أخرى متاحة أمامها، أثار ذلك غضب مي في البداية لكنها تقبلت الأمر فيما بعد كعمل مؤقت لحين تجد والدتها عمل مناسب لها..

لم تكن سناء تكف عن البحث ولا عن أخذ دورات في الحاسب الآلي وفي اللغة حتى تفتح باباً جديداً للعمل أمامها، لكن لا بد من الصبر حتى تصل إلى الوضع الذي يرضيها

وبدأت الإجازة الصيفية كانت مي حائرة كيف تقضي وقتها في هذا البلد الغريب عنها حيث لا أهل ولا أصدقاء، لكن روز ساعدتها على إيجاد حلول لتلك المشكلة منها أنها اصطحبتها للنادي الخاص بها وأقنعتها أن تشترك في أحد الأنشطة الرياضية

كانت مي تشعر بالحرج لأنها ليست عضو في النادي لكن روز بددت ما لديها من حرج وقامت بالاشتراك لمي رغم اعتراض مي الشديد على ذلك، نظرت لها بعينيها الخضراوين قائلة بتصميم: مي.. لن أستطيع أن أذهب للنادي بدونك ، أخيرا وجدت صديقة أرتاح لها وأستمتع بوقتي معها فلا تحرميني من ذلك

راحت مي تعانقها قائلة: لا أدري ماذا كان عساي أن أفعل لو لم ألتقِ بك

اختارت مي لعبة تنس الطاولة لأنها تناسبها أكثر ولا تتطلب حركة كثيرة في التدريبات ، كانت تعود منهكة من النادي وتنتظر والدتها حتى تعود من العمل حاملة معها بعض الطعام لإعداده

داخل المطعم كانت سناء تحاول إنهاء عملها لكن اليوم مزدحماً بالزبائن والأطباق أكثر من المعتاد..

نظر لها ذلك الرجل الخمسيني زميلها في العمل نظرة إشفاق وهي تعمل بلا كلل لتنهي عملها مبكراً وتعود لابنتها.. يعلم جيداً أن مستواها العلمي والثقافي لا يتلاءم مع هذه الوظيفة لهذا يشفق عليها.. اقترب منها وقال بلكنته الإنجليزية ..لدي فضول لأعرف لماذا تركت وطنك..

نظرت له باستنكار قائلة في لهجة جادة ومن منا يملك أقداره

أومأ برأسه موافقاً ثم استطرد يقول: اسمعي يا سناء اذهبي أنت الآن وسأكمل ما تبقى.

بنفس اللهجة الجادة أجابت: أشكرك سأنهي عملي وأنصرف، لكن الرجل أصر قائلاً: أنا صادق في عرضي ولا أقصد منه شيء سوى المساعدة أفكر في ابنتك والوقت الطويل الذي تقضيه في انتظارك أرجوك اتركي الأمر لي على الأقل هذه المرة

أخيراً استجابت له بعد أن أعربت عن امتنانها، في طريق العودة اشترت بعض الطعام وبعض الحلوى.. تبحث في وسط الفاتر ينات عن هدية مناسبة لابنتها.. إن غداً عيد ميلادها وتريد أن تنتهز فرصة خروجها مبكراً اليوم لتحضر لها الهدية

احتارت كثيراً ماذا تشتري لها.. وبعد جولة ليست قصيرة اختارت بعض الإكسسوار وزجاجة من العطر قامت بإخفائهم في حقيبتها حتى لا تراهم مي.

وصلت للمنزل وعندما أدارت المفتاح فوجئت بمشهد لم تتوقعه فقد كان المكان مرتب جداً على غير العادة وكل شيء في مكانه ابتسمت الأم وقالت لنفسها: لا بد أن مي تخطط لأمر ما.

نادت ابنتها التي هرولت وقد علا وجهها الدهشة: أمي لقد حضرت اليوم مبكراً لم أكمل المفاجأة بعد

الأم: كنت أعلم أنك تخططين لأمر ما

مي: أبداً ستحضر مجموعة من صديقاتي غداً للاحتفال بعيد ميلادي

بهتت الأم وقالت: كل عام وأنت بخير يا حبيبتي كنت بالطبع أخطط للاحتفال به لكن أنا وأنت فقط تعلمين الأمر سيحتاج إلى تكاليف

قاطعتها مي قائلة: لقد ادخرت من مصروفي وسأشتري بعض الأشياء الغير مكلفة هو مجرد احتفال رمزي

دمعت عيني الأم وعانقت ابنتها قائلة: دائماً تتصرفين بطريقة أكبر من عمرك، ثم راحت تداعبها قائلة ظننت أنك أشفقت علي وتريدين مساعدتي في ترتيب المنزل، لكن هكذا أنت

بشيء من الخبث قالت مي: أنا أيضاً أريد مساعدتك

سناء: طبعاً.. طبعاً، ما أخبار النادي هل تسير الأمور على ما يرام؟

مي: جداً يا أمي ابنتك أصبحت بطلة تنس طاولة وقريباً سأشارك في مباريات خاصة بالنادي

صمتت مي قليلاً وراودها إحساس بالألم وهي تقول: لكم كنت أتمنى لو احتفلت بعيد ميلادي مع صديقاتي في مصر

ربتت سناء على كتفها وقالت: الحمد لله على كل الحال من يدري ربما تكتب لنا العودة مرة أخرى لا تيأسي

تركتها سناء وتوجهت إلى المطبخ لإعداد الطعام وهي تفكر في كلمات مي، كانت تظن أن حياة مي الجديدة قد أنستها مصر وأصدقائها هناك لكنها كانت تحلم..

ومن يقوى على نسيان مصر

في اليوم التالي وعند عودة الأم بفترة كافيه حضرت صديقات مي وقضين وقتاً رائعاً معها.. استقبلتهم مي بترحاب شديد وكانت سعادة الأم بالغه برؤيتها تبتسم من قلبها وترقص وتغني مع صديقاتها، أحضرت كل واحدة معها هدية قيمه فرحت بها مي كثيراً وإن كانت قد قلقت لأنها لن تتمكن من رد هذه الهدايا على الأقل في الوقت الحالي

انتهي اليوم بسلام وأرادت مي أن تتحدث مع صديقاتها في مصر لابد أن صفحتها امتلأت بالورود والتهاني

عندما فتحت الحاسوب وجدت رسائل عديدة على الماسنجر أحدها لعمر لكم هي مشتاقه له.. فتحت الرسالة بحذر وهي تنظر ناحية باب الغرفة فوجدت بعض الكلمات القليلة منه " كل عام وأنت بخير " ترددت كثيراً قبل أن ترد على الرسالة فهي ترفض فكرة أن يكون بينها وبينه حوار علي الخاص، لكنها وجدت من غير اللائق عدم الرد على تلك الرسالة فأجابت بكلمات قليلة جداً "وأنت بخير أشكرك " ثم فتحت صفحتها الشخصية لترد على التهاني التي ازدحمت بها الصفحة وإن كان ذهنها شارداً في عمر وفي شعورها الذي تحاول تجاهله خاصة مع استحالة اللقاء معه مرة أخرى.

عمر هو أول من طرق باب قلبها، تحمل مشاعر جميلة نحوه يشوبها الخوف والتردد لا تستطيع الانسياق وراء مشاعرها فهي لا تريد أن تخون ثقة والدتها

دائماً تردد كلمات أ. نوال لها " لازلت صغيرة ربما تتغير مشاعرك فلا تتعجلي"

أغلقت الحاسوب واتجهت إلى فراشها تداعبها الأحلام الجميلة تارة وأشباح الرحيل تارة أخرى، تتمنى لو تنسى أنها انتزعت قصراً من وطنها وأصدقائها، لكن هيهات أن تنسى ذلك وهو مرسوم في مخيلتها بألوان لا يمحوها الزمن..

على الجانب الآخر كان عمر قد استيقظ من نومه.. تذكر رسالته لمي بالأمس، تري هل قامت بالرد عليها، لكن لماذا عاد يفكر فيها رغم القرار الذي اتخذه بنسيانها..

لا يدري يشعر أحياناً أنه مرغمٌ على التفكير فيها وأنه لا يملك حق الاعتراض ورغم رحيلها وعدم رؤيته لها إلا أن تلك المشاعر تنمو يوماً بعد يوم

فتح الحاسوب فوجد رسالتها في انتظاره كاد يطير فرحاً وتمنى لو تبادل معها الحوار لكنه يعلم شخصيتها جيداً وأنها لن تقدم على ذلك ويخشى إن ألح عليها أن تقطع كل صله به ولم يعد يملك سوى هذه الصلة الإلكترونية

تنهد بعمق وتذكر بعض المشاهد القليلة التي جمعته بها و راح يصنع بعض المشاهد التي لم تحدث يحاورها فيها ويعرض عليها الزواج ويحمر وجهها خجلاً ثم تمد يدها لتمسك بيده ويسيران معاً داخل حديقة غناء

يوقظه صوت والده من حلم اليقظة قائلاً: ها.. أين ذهبت ! هل ستنزل معي للمسجد أم أذهب أنا ؟

عمر: أتوضأ وأخرج معك حالا ثم توجه مسرعا إلى حجرة والدته فناداه الأب ضاحكا :عمر انتظر الحمام ليس من هنا فانتبه عمر وشعر بالخجل وذهب ليتوضأ وهو يشعر أن والده يقرأ كل ما في رأسه

من وقت لآخر كانت سناء تتصل بأخيها لتطمئن عليه لكنها تشعر به يرد عليها ردود مختصرة وكأنه يخشى أن تطلب منه شيئاً، ولم يكن هذا ما يدور بخلدها

كل ما كانت ترجوه بعض مشاعر الإخوة في هذا المكان الذي لا تعرف فيه أحد، ولولا صديقات مي وما يضفينه من بهجة للبيت لماتت من شعورها بالوحدة

اعتادت أن تشتري الجرائد المصرية كلما توفر لديها بعض المال الزائد، تتابع بشغف الأحداث.. تتمنى أن يأتي أحدهم ويكشف حقيقة رجل الأعمال الذي تسبب في ما وصلت له هي وابنتها الآن، لا تكل من البحث عن عمل لكن الفرص مغلقه أمامها، تحن للصحافة وللكلمة المكتوبة، تسجل خواطرها الصحفية من آن لآخر وتظل كلماتها حبيسة الأوراق

مي تستكمل دراستها التي تعادل الثانوية العامة في مصر، تحلم بأن تلتحق بالجامعة لكنها تخشى أن تثقل كاهل أمها بالمصروفات..

صارحت أمها برغبتها في العمل حتى تتمكن من استكمال دراستها لكن الأم رفضت وأخبرتها أنها ستفعل كل ما في وسعها لتدخلها الجامعة

أما عمر فقد حرص على أن يصل الليل بالنهار ليحقق حلمه، يتمنى دراسة العلوم لكن ليس في مصر سيبحث عن فرصة للسفر للخارج ..

"أُستراليا" حلمه الأول والأخير لكنه لم يشأ أن يفصح عن حلمه لوالده فربما رفض وكان لذلك رد فعل سيء عليه ففضل الاحتفاظ بالحلم لعله

يكون سبباً في وصوله إلى ما يتمنى يوماً ما، لكنه وككل مرة بعدما يحلق بعيداً في سماء الحلم يعود مرة أخرى إلى أرض الواقع ويقرر نفس القرار بنسيان مي، يتذكر ما يفصله عنها من مسافات وكيف أن التفكير فيها سيكون بمثابة عذاب له وحلم شبه مستحيل..

لا يعرف كم مرة اتخذ هذا القرار ثم يفاجئه قلبه أنها لا زالت تتربع داخله.. فقلب العاشق لا يعرف المستحيل، كل ما عليه أن يثابر حتى يتحقق حلمه ويصبح قادراً على الاعتماد على نفسه فربما وقتها يستطيع اتخاذ قرارات تقرب المسافة بينه وبينها، وربما هي مجرد حلم يراوده من آن إلى آخر.. حقيقة لا يدري

تتعاقب الأيام على مي.. تزيدها إصراراً مرة وتعيدها إلى ذكرياتها الحلوة والمرة مرة أخرى....

رغم كثرة الأصدقاء حولها ورغم سحر أُستراليا لكن شيئاً ما بداخلها لا زال يبحث عن طريق العودة.. رائحة الوطن.. أصوات صديقاتها.. حوش المدرسة.. ضحكهم ولعبهم أستاذة نوال معلمتها المفضلة.. و.. هو..

ما كانت تعلم أن الحب ينمو مع الغياب..

منزلها القديم.. لا يمكنها نسيانه لا زال يراودها في أحلامها، وكثيراً ما توقظ أمها على صوتها وهي تبكي.. لا تدري إلى متى ستبقى تلك البقعة السوداء داخل قلبها

تتنهد بألم كلما تذكرت تلك الأيام ثم تعاودها العزيمة من جديد لا بد أن تواصل يجب أن تحقق أمل والدتها وأن تصبح شخصية هامة في مجتمعها الجديد

والدتها تعود كل يوم منهكة ولا يخفف من متاعبها سوى مي عندما تعانقها بأمومة صغيرة هي عليها وتعدها أن لا يضيع تعبها هباء

اجتازت مي اختبارات نهاية العام وتمكنت من الحصول على أعلى التقديرات، كم كانت فرحة سناء حين علمت ذلك.. ودت لو أخبرت الدنيا كلها بهذا الخبر الذي أثلج قلبها وأزال تعب الأيام السالفة كأن لم يكن

في المساء كانت مي تجلس لمشاهدة التلفاز مع والدتها حين حضرت روز لزيارتها.. تلك الفتاة التي كانت سندا قويا لها ولسناء أيضاً.. أحضرت معها بعض الجاتوه بمناسبة نجاح مي

سناء: لم يكن هناك داعي يا روز لتكلفي نفسك

روز: أنا سعيدة جداً من أجل مي وفكرت في إحضار هدية لها لكن تذكرت عشقها للجاتوه الفرنسي فقررت إحضاره والمجيء لها سريعاً

مي: حبيبتي لا تنسي أي شيء يخصني

روز: وماذا تنوين الآن هل ستواصلين دراستك الجامعية

نظرت مي لوالدتها بتردد ثم قالت وهي مطرقة الرأس: أفضل أن أعمل وأساعد والدتي

هبت سناء واقفة وقالت بإصرار: لا يا مي ستكملين دراستك حتى لو اضطررت لأن أعمل عمل إضافي

مي: لكن هذا سيكون مرهق جداً عليك

سناء: غير مستعدة أن أخسر مستقبلك كما خسرت وطني من قبل

روز: إذاً عليك الآن اختيار الدراسة المناسبة

مي: سأدرس الإعلام

نظرت الأم لها بدهشة فواصلت حديثها: أريد أن أكون مثل أمي وأكمل ما بدأته

سناء: لكن يا مي هي مهنة المتاعب وأنت ترين ماذا حدث لنا بسببها

مي: لكني مصرة على ذلك ولن أغير رأيي

سناء: مي..

مي: لا أقصد أن أغضبك يا أمي لكن.. هكذا أجد نفسي ولا أراها في مجال آخر

روز: أنتم تقولون ابن الوز عوامة أليس كذلك

ضحكت مي وسناء على لهجة روز وقالت مي: عوام يا روز

تنهدت الأم وهي تنظر في عيني مي التي امتلأت حماساً لذلك القرار مما أجبرها على أن تستسلم لرغبتها وتمنى نفسها بأن الأمور هنا تختلف عن مصر.

أما عمر فقد كان ينتظر إعلان النتيجة في ذلك اليوم لكن مع الأسف تأخر ظهورها

كاد القلق أن يفتك به لقد تعب كثيراً من أجل تحقيق أمله في دخول كلية العلوم ويخشى أن يتهاوى ذلك الحلم إلى الأبد

فتح اللاب يحاول أن يشغل وقته حتى لا يفكر كثيراً في أمر النتيجة، ظل يتفحص الفيس حتى رأى منشور لمي تخبر صديقاتها أنها نجحت وبتفوق والجميع يباركون لها، أراد أن يشاركها فرحتها لكنه تراجع وتذكر القرار الذي اتخذه بالابتعاد وعدم التفكير فيها مرة أخرى فأغلق اللاب وذهب

ليصنع كوباً من الشاي فلا بد أنها ليلة طويلة، سمع رنين الهاتف الخاص به فجرى مسرعاً نحوه كان صديقاً له في المدرسة

عمر: ألو.. أهلاً يا علي

علي: ألف مبروك سبعة وتسعون بالمائة

عمر: كيف عرفت

علي: قريب لي في الكونترول أحضر نتيجتي ونتيجتك

عمر: الحمد لله أشكرك جداً يا علي وأنت ما نتيجتك

علي: ثمانون بالمائة لكن لا مشكلة أنوي الالتحاق بالكليات العسكرية

عمر: أشكرك جداً لقد كدت أجن وألف مبروك لك

علي: العفو نحن أعز أصدقاء

ويليام زميل سناء في العمل ذلك الرجل الخمسيني طيب القلب كان يحمل الأطباق إلى المطبخ وقد تهللت أساريره، راح ينادي سناء فهرولت لترى ما حدث، فقال لها وابتسامة تغزو وجهه: لا تعلمين من وجدت في الصالة

سناء: من؟

ويليام: الأستاذ فتحي حسين رئيس تحرير جريدة عربية تصدر باللغة الإنجليزية وقد أخبرته بأنك صحفية وتعملين معنا بشكل مؤقت وعندما علم اسمك طلب مني أن أناديك

ابتسمت سناء وشعرت براحة كبيرة خلعت مريلة المطبخ واتجهت إلى حيث أشار لها وليام

انتبه الأستاذ فتحي واعتدل واقفاً ومد يده ليصافح سناء

سناء: أهلاً وسهلاً بحضرتك أنرت المطعم

فتحي: بل أنا المحظوظ اليوم لأنني التقيت بك، لقد كنت من متابعي تحقيقاتك الصحفية ومعجب جداً بأسلوبك ولم أصدق ذلك الرجل العجوز أنك تعملين هنا

سناء: ظروف صعبة اضطرتني لذلك على أي حال العمل ليس عيباً مهما تضاءلت قيمته

أومأ فتحي برأسه موافقاً ثم دعا سناء للجلوس قائلاً ..

فتحي: لكن مكانك ليس هنا .. وأخرج كارت من جيبه ، من الغد تأتين إلى الجريدة لتتسلمي عملك، لكن ما أخبارك في اللغة الانجليزية

ابتسمت سناء على استحياء : للأسف متوسطة

فتحي: لا عليك في البداية سنقوم بترجمة ما تكتبين إلى أن تتقني اللغة، لابد أن تأخذي كورسات حتى تصلي إلى تلك المرحلة ..

سناء: لا أعرف كيف أشكر حضرتك يشرفني جداً ذلك

فتحي: بل أنا من أتشرف بوجودك في جريدتي المتواضعة.

عادت سناء إلى المنزل بعد أن استلمت مستحقاتها من الفندق الذي كانت تعمل به، كانت تفكر في رد فعل مي عندما تعلم بهذا الخبر تمنت لو قصرت المسافة حتى تصل سريعاً إلى المنزل..

الطريق طويل بعض الشيء يسمح للراكب في الحافلة استعادة شريط ذكرياته كاملاً حياتها.. في مصر ..وفاة زوجها ..مي تلك المخلوقة التي أنارت حياتها.. رحيلهما المفاجئ ، كانت تتمتم بكلمات الحمد والدموع تغالبها من آن إلى آخر، ربما أراد الله أن يعوضها عن تلك الأيام الصعبة التي عاشتها داخل تلك البلدة

أدارت مفتاح الباب بهدوء ومشيت بخطوات بطيئة إلى أن وصلت إلى حجرة مي التي كانت تجلس بجوار الحاسوب، قفزت مي من مكانها ثم قالت:
أمي.. لقد أخفتني كثيراً، عدت مبكراً اليوم
اقتربت الأم من ابنتها وعانقتها قائلة: ستفتخرين بأمك مرة ثانية
مي: أنا دائماً فخورة بك يا أمي، لماذا تقولين ذلك
سناء: لقد حضر اليوم إلى الفندق رئيس تحرير جريدة عربية تصدر باللغة الإنجليزية وعرض علي العمل معه.

مي: حقاً.. ألف مبروك يا أمي أخيراً ستعودين لمهنتك المفضلة

صمتت سناء وجلست على المقعد قائلة: لا أدري رغم سعادتي بهذا العمل إلا أنني أشعر بالخوف، أخشى أن يحدث..

قاطعتها مي قائلة: التاريخ لا يعيد نفسه هذه مقولة خاطئة تفاءلي يا أمي وهيا نحتفل

سناء: وكيف تريدين أن نحتفل؟

مي: نخرج للعشاء في الخارج

سناء: ولكني متعبة اليوم، أعدك أن أذهب معك في الغد إلى حيث تريدين

مي: لا بأس ونحضر روز معنا

سناء: أمري لله، ونحضر روز معنا

عاد والد عمر من عمله مرهقاً، ألقى بنفسه على الأريكة ، كان عمر وقتها لا زال يلعب كرة القدم مع رفقائه أسفل المنزل عندما لمح والدة، استكمل لعبه لبعض الوقت ثم صعد ليتحدث معه

عمر: أبي.. كنت أود التحدث معك في أمر هام

الأب: تفضل يا عمر

عمر: بالنسبة للدراسة أنا أريد الالتحاق بكلية العلوم

الأب: وما المشكلة أعلم ذلك

عمر :أريد أن أدرس العلوم في أُستراليا

قام الأب من مقعده ونظر إلى عمر في غضب وقال: أُستراليا !! ومن أين لنا بتلك النفقات أنا مجرد موظف، دعك من هذه الأفكار، لا أدري من أين أتت لنا موضة الدراسة بالخارج

عمر: الدراسة هناك ستمنحني خبرة علمية أكبر وهذا أفضل بالنسبة لمستقبلي

الأب: آسف هذا ليس باستطاعتي إن أردت ذلك فابحث لك عن عمل وادخر لتوفر نفقاتك أما أنا فلا أستطيع وغير مقتنع أصلاً

شعر عمر بإحباط كبير وبأن أحلامه تقلصت في خلال الدقائق المعدودة التي تحدث فيها مع والده، ذهب إلى حجرته ودفن رأسه في وسادته محاولاً نسيان ذلك الحوار الذي دار بينه وبين والده، لكن ذلك لم يطفئ من غضبه ولم يقلل من إحباطه، حمل جواله وقرر الخروج للمشي منفرداً

طوال الطريق يفكر فيما حدث، يعاتب نفسه على أنه تحدث مع والده في هذا الأمر ليته احتفظ بحلمه لنفسه لكن هل حقاً يريد استكمال دراسته في أُستراليا من أجل الفائدة العلمية أم..

لا يدري.. إن كل ما يربطه بمي بعض كلمات من الماضي البعيد، أليس من الجائز أنها تغيرت ولم تعد كما كانت في مصر، لا بد أن الفترة التي قضتها في أُستراليا قد غيرت من تفكيرها ومظهرها، عليه ألا يبني حياته ومشاعره على حلم ربما يتحقق وربما..

عاد يعاتب نفسه: أنت تبالغ في واقعيتك فلتمنح فرصة للحلم.. للأمل.

داخل مطعم بيتزا جلست مي ووالدتها مع روز، كانت البهجة واضحة عليهم، راحوا يتبادلون الحديث ويستعيدون ذكريات مواقف حدثت بينهم

بدأت روز توجه حديثها لسناء قائلة بلهجة مرحة: وأنت يا طنط ماذا فعلت اليوم في العمل الجديد؟

سناء: ذهبت باكراً كعادتي قابلت رئيس التحرير وصاحب الجريدة، استقبلني الجميع بحفاوة، الموظفون من جنسيات عربية مختلفة وإن كانت روح الأخوة تسود بينهم كأنهم من بلدة واحدة، لا يقلقني سوى شيء واحد.. هذه المهنة كانت سبباً في تركي لوطني لذلك قررت أن أكون حريصة جداً فيما أكتب

نظرت لها مي بعتاب فاستطردت سناء قائلة: لا أخاف على نفسي لكني أموت عليك يامي

مي: أمي.. لم أعد صغيرة ولا أريد أن يكون خوفك علي سبباً في عدم تميزك كصحفية تحب عملها

سناء: رغماً عني يا مي الخوف عليك جزء أساسي من شخصيتي

روز: يبدو أنكما نسيتا وجود روز

ضحكت سناء وقالت: وكيف أنسى أجمل صديقة لمي

روز: مي هي أختي التي لم تنجبها أمي لذلك لن أتركها أبداً وسأدرس نفس تخصص مي حتى أكون بجوارها دائماً

مي: أحمد الله أنه رزقني بك لا أعرف ماذا كنت سأفعل لو لم تكوني موجودة في حياتي

قرر عمر أن يعمل في الإجازة الصيفية ليدخر راتبه على أمل أن يتمكن من توفير نفقات الدراسة في الخارج..

استطاع أن يصل إلى عمل كبائع ملابس في أحد المحلات الكبيرة، علم أبوه بالأمر في البداية عارضه خوفاً أن يؤثر الأمر على دراسته لأن فترات العمل بالمحل كانت طويلة، لكن ثقته في شخصية ابنه جعلته يتراجع ويشجعه على الاستمرار

انتهت شهور الصيف وبدأت الدراسة في الجامعة بأُستراليا

كانت مي متحمسة جداً للفترة المقبلة فهي فترة ينتظرها أي طالب ليحقق طموحه العلمي ويتمكن من الدخول إلى عالم أوسع من عالم المدرسة، ومما زاد من حماسها وجود روز معها

الطريق إلى الجامعة مليء بالأشجار، تلتقط مي بعض الصور من آن لآخر قامت بنشر إحداها على صفحتها الشخصية وكتبت معها " أول يوم في الجامعة "

كان وجهها متألقاً رغم خلوه من المساحيق، فالحماس والسعادة التي تملأ قلبها تضفي على وجهها نضارة وجمال كبيرين

بداخل الفناء وجدت روز في انتظارها ترتدي ثياب بسيطة وقد جمعت شعرها إلى أعلى، انطلقت نحوها في خفة وسلمت عليها قائلة: تعالي لأعرفك على زملاء لنا تعرفت عليهم الآن، اقتربت من اثنين من الشباب وقدمتهم لمي قائلة مايكل.. هنري

أومأت مي برأسها مرحبة ثم اقتربت من روز وقالت هامسة: يبدو أنك جئت مبكرة.. متى تعرفت عليهم

روز: الأمر لا يحتاج لوقت، مي ..حاولي أن تكوني بسيطة وتتخلصي من بعض أفكارك الشرقية

مي: أنت حرة لكني لا أشعر بالراحة تجاههم

روز: على العكس هما من النوع المرح التلقائي جداً

مي: ربما

من على بعد لمحا صديقة لهما بالمدرسة تدعى جاكلين رحبا بها وقالت لها

روز: ماذا تدرسين هنا

جاكلين: أدرس الهندسة.. وأنتم

روز: أنا ومي إعلام

جاكلين: روز ومي لا يفترقان أبدا، سأذهب الآن فلدي محاضرة

مي: ونحن سنذهب أيضاً حتى لا نتأخر

مي: انتظري بعض الوقت لم أكمل الحديث مع رفقائي الجدد

نظرت مي لروز بغضب وقالت لها: ليس الآن ثم جذبتها من يدها وتوجها للداخل.

سناء كانت تتجنب الكتابة في الموضوعات التي تتعلق بالمخدرات وأي موضوع قد يسبب الحديث عنه مشكلات لها.. بمعنى أصح آثرت السلامة، أصبحت تجري تحقيقات عن مشكلات نمطية " مشكلات المجتمع.. بعض المشكلات الأسرية.. تنمية قدرات الأطفال.. إلخ" وقد علق الأستاذ فتحي على ذلك قائلاً لها: أتمنى أن تعود الأستاذة سناء صاحبة القلم الجريء الذي لا يكسر، كانت تكتفي بالرد عليه بابتسامة شاحبة غير مفهومة له فهو لا يدري سر ذلك التغيير بل هو حتى الآن لا يفهم سبب هجرتها وهي الصحفية المرموقة ذات الكلمة المسموعة

كانت سناء تعد إحدى المقالات حين رن هاتفها الجوال فجاءها صوت مي:

أمي هل تسمحي لي أن أذهب مع روز وأصدقاؤها للتنزه بعد المحاضرات

سناء: ومن هم الأصدقاء

مي: زميلات لنا في الجامعة

سناء: وبعض الزملاء أليس كذلك

مي: روز تلح علي ولا أعرف ماذا أقول لها

سناء: أخبريها بأنني غير موافقة وأنني لا أسمح لك بالخروج مع شباب، لكن لماذا أصبحت روز تهتم بصداقة الشباب رغم أن المدرسة الثانوية كانت مشتركة ولم تفعل ذلك

مي: سألتها نفس السؤال فضحكت ساخرة وقالت كانوا أطفال بالنسبة لي فهم معي منذ كنت صغيرة جداً

سناء: أخشى عليك من صداقتك لروز رغم حماسي السابق لها

مي: لا يا أمي روز فتاة محترمة المشكلة في اختلاف تقاليد المجتمع هنا عن مجتمعنا

سناء: ويجب أن تدرك هذا الاختلاف وتقدره ولا تلح عليك في أمور من هذا النوع.. فهمت يا مي

مي بشيء من الفتور: حسنا يا أمي سأخبرها ثم أغلقت الهاتف

راحت سناء تستعيد كلمات ابنتها والخوف يراودها من آن لآخر على مي ولا تملك سوى الدعاء لها بأن يبعد الله عنها كل سوء

عمر كان عائداً من كليته منهكاً، عليه أن يستبدل ملابسه ويذهب للعمل فقد قرر أن يستمر في أثناء الدراسة لمدة ثلاثة أيام أسبوعياً وعندما تأتي الإجازة يعود للعمل يومياً، فالدراسة في كلية العلوم تحتاج كثيراً من التفرغ توجه نحو باب المنزل فوجد والده في الصالة.

الأب: ألا زلت مصر على العمل أثناء الدراسة.

عمر: نعم يا والدي لي هدف وأتمنى تحقيقه.

الأب: لا أريدك أن تشق على نفسك.

عمر: ألم تقل لي أريدك رجلاً يعتمد على نفسه إذاً لا بد أن أتعب وأشقى

ربت الأب على كتف ابنه قائلاً: ادعو الله أن يوفقك لما تتمنى

هم عمر بالانصراف فاستوقفه والده قائلاً: لا تتأخر حتى لا نقلق عليك

عمر: اطمئن سأعود مبكراً

كانت مي مشاركة في انتخابات الطلاب فقد رشحت نفسها لرئاسة الاتحاد بالكلية، ساعدتها روز كثيراً في عملية الدعاية وإن كان لمي أعداء ليسوا بقليلين وخاصة مايكل صديق روز الذي كان يوجه لها أحيانا نظرات احتقار وهو يقوم بدعاية مضادة لصالح مرشح آخر

اجتمع حوله رفقاؤه فراح يدس سمومه في آذانهم" إنها مسلمة أي إرهابية متزمتة كيف نقبل أن تكون رئيسة للطلاب لا يمكن أن يحدث ذلك أبداً، انظروا كم هي متخلفة في ملابسها وطباعها ألا ترون ما تضع على رأسها" وافقه معظم الواقفين عدى زميل لهم يدعى جيمس الذي قال: ألا ترى أنك تبالغ في الأمر.. مي فتاة متواضعة ومرحة وتحب الآخرين لكنها فقط تختلف عنا في بعض الأمور لأنها من مجتمع مختلف والبرنامج الخاص بها أكثر من رائع، لا أدري سر هجومك عليها لمجرد أنها مسلمة، يبدو أنك عنصري يا صديقي

بغضب قال مايكل: لست عنصري.. أنا أخبركم بحقيقتها ولكم حرية الاختيار

انصرف جيمس غاضباً واتجه إلى مي

جيمس: مي.. مي

التفتت مي إلى الصوت وقالت: ما الأمر يا جيمس

جيمس: هناك حملة مضادة تجاهك بسبب..

مي: كوني مسلمة ومحجبة

جيمس: نعم

مي: كنت أتوقع ذلك منذ بدأت لا تقلق يا جيمس الشاطر من يضحك أخيراً

قالتها بثقة عالية واستمرت في حملتها الانتخابية

كانت علاقتها بالجميع تتسم بالبساطة والاحترام كما حظيت بتقدير أساتذتها داخل الجامعة رغم اعتراض البعض على ما ترتديه من زي

وفي يوم إعلان النتيجة وقفت مي وعلامات القلق واضحة على وجهها، كانت روز تطمئنها بأنها بذلت أقصى جهد وأنها محبوبة من الكثيرين

الشك كان يساورها بسبب حملة مايكل المضادة لها، لكن هناك أمور لا يحسمها سوى إحساس الآخرين، وبالفعل نجحت مي وصارت ممثلة الطلاب داخل الكلية، كادت تطير من الفرحة.. التفت حولها صديقاتها مهنئين إياها بالفوز وهي لا تكاد تصدق نفسها.

انشغلت مي بمهمتها الجديدة في الكلية.. أنشطة متنوعة، لقاءات مع الطلاب، أصبح المنصب الطلابي هو أهم شيء في حياتها لدرجة أنها انشغلت عن روز

خلال ذلك كانت روز قد كونت مجموعة من الأصدقاء والصديقات منهم مايكل بالطبع.. تتنزه معهم كثيراً وفي نهاية الأسبوع تكون هناك سهرة في أحد المحال المنتشرة في أُستراليا

ذات يوم لمحت مي روز قادمة ولم تكن قد رأتها منذ فترة فهي كثيرة التغيب عن الكلية هرولت نحوها وقالت: روز.. اشتقت لك كثيراً منذ مدة لم أرَك

ابتسمت روز ابتسامة باهتة وقالت: لقد انشغلت عني وشيء طبيعي أن لا يكون لديك وقت

مي: روز لا تقولي ذلك أنت لا تعرفين كم أنت غالية عندي

روز: حسناً فلتأتي لزيارتي اليوم

مي: سأخبر أمي وأتصل بك.. باي

روز: باي

جلست روز مع مي داخل حجرتها، روز لم تكف عن الثرثرة عن أصدقائها ومغامراتهم ونزهاتهم ومي تستمع لها وبداخلها تساؤل لماذا أصبحت روز مولعة بتلك المجموعة من الأصدقاء أكثر من أي شيء آخر

مي: روز كفى إنك لم تكفي عن الحديث عنهم منذ وصلت

روز: آسفة يا مي هل أغضبتك.

مي: لا أبداً لكني أخشى عليك من هذا التعلق الزائد.

روز: دائماً أنتم العرب تخافون من كل شيء

مي: لماذا صرت تتحدثين معي بهذه الطريقة

روز: لا أقصد مضايقتك لكن أليست هذه هي الحقيقة.. إنكم تخافون من الدخول في علاقات مع الجنس الآخر وتسمون ذلك تحرراً، تخافون من صداقة البنت والولد، تخافون من التغيير.. من الآخرين الذين لا يشبهونكم.. تفضلون الثبات حتى لو لم يكن في صالحكم وتتركون الأقدار تتحكم في حياتكم

مي: هذا كلام وأفكار مايكل أليس كذلك

روز: مايكل يختلف معك فقط وغير مقتنع بترشحك ليس معنى ذلك أن تعتبرينه عدواً لك يجب أن تتقبلي الاختلاف

مي: لا أدري أشعر في لهجتك بشيء كبير تغير، روز لا زلت أعتبرك أوفى صديقة لي فلا تجعلي آراء مايكل تؤثر على علاقتنا

تأثرت روز بكلمات مي فاقتربت منها وعانقتها وهي تقول: لم أقصد مضايقتك ربما لم أُجِد التعبير لكن أريد منك فقط أن لا تعتبري من لا يتفق معك فهو ضدك

مي: وهل تعرفين عني هذه العقلية المتحجرة

صمتت روز ولم تجب وشردت بفكرها بعيداً فغادرت مي حجرة روز دون أن تنتبه روز لذلك إلا بعد فترة فراحت تجري لتلحق بها لكن مي كانت قد غادرت المكان.

عادت مي إلى المنزل وهي تشعر بإحباط غير عادي، دخلت حجرتها وأغلقت الباب، وجدت نفسها تجهش بالبكاء، سمعتها أمها من الخارج فدخلت لترى ماذا حدث لها وهي تشعر بخوف شديد عليها.

مي: لا تخافي يا أمي فقط ضايقني كلام قالته روز لي..

راحت تقص على أمها كل ما حدث

نظرت الأم لها نظرة حانية ثم قالت: روز فتاة طيبة، ربما تأثرت بعض الشيء بأصدقائها الجدد لكن تأكدي أنها ستصالحك في الغد

مي: أنا لست فقط غاضبة من روز أنا خائفة عليها أيضاً.. إنها متأثرة جداً بأفكار مايكل لا أدري لماذا

الأم: عندما تتصالحا تحدثي معها عن مخاوفك وعبري عن رأيك بدون أن تتحاملي عليها

مي: سأفعل يا أمي وآسفة إن أزعجتك دموعي

الأم : وهل عندي أهم منك لأنزعج من أجله

عانقت مي أمها وقالت سأحاول النوم الآن

سناء: إذاً تصبحين على خير

غادرت سناء حجرة مي وذهبت لقراءة بعض الجرائد.

عبثا حاولت مي النوم، طاردتها الأفكار والهواجس، فانتفضت من الفراش وقامت بفتح الحاسوب، وجدت رسائل عديدة من صديقاتها لكن لفت نظرها رسالة من عمر.. ترى ماذا يريد أن يقول لها؟

فتحت الرسالة وهي تنظر خلفها لتتأكد من أن باب الغرفة موصد وبدأت بالقراءة

" مي.. مشاعر لا أستطيع وضع عنوان لها تحرك تفكيري نحوك، التحقت بكلية العلوم وكلي أمل الآن أن أتمكن من استكمال دراستي في أُستراليا لأكون قريباً منك، لا أريد التطفل عليك لكن أرجوك ردي على تلك الرسالة فقط أريد أن أطمئن إلى أنني أسير في الطريق الصحيح"

خفق قلب مي خفقة قوية، همت بأن تنثر أحلى المعاني في رسالة ترد بها على عمر لكنها توقفت، مي تملك مشاعر قويه وجامحة وفي الوقت ذاته تملك لجاماً قوياً لتلك المشاعر، إنه العقل الذي يمنع قلبها من الاندفاع

مر الكثير من الوقت قبل وصول هذه الرسالة دون أن تحاول التحدث مع عمر ودون أن يحاول هو كذلك..

ألم تصبح كبيرة الآن.. أليس من حقها أن تعيش الحب؟

لكن.. هي لا تريد لحبها أن ينمو في الظلام، وهل هي حقاً تحب عمر؟ هل لو ردت على رسالته تكون مذنبة في نظر نفسها؟

أسلمها هذا التفكير إلى حيرة كبيرة وتمنت لو تسأل شخصاً ما في هذه المشكلة لكن لمن تحكي؟

في الصباح فتح عمر الحاسوب لينظر إن كانت مي قد ردت على رسالته أم لا.. صدمه أنها رأت الرسالة ولم تجِب.. ربما لم تجد ما تقوله.. وربما لا تحبه..

قال لنفسه: لا.. لا يمكن أن يكون شعوري خاطئ أنا واثق أن مي تحبني كما أحبها لكن من أين أتيت بهذه الثقة يا عمر؟

لا أدري لعله قلبي أرشدني لذلك، لكن هل هو صادق حقا؟

ظلت مي طوال الليل حائرة لا تدري ماذا تفعل

عندما ذهبت إلى الجامعة كانت أفكار عديدة قد ازدحمت داخل رأسها..

بعد انتهاء أول محاضرة وجدت روز في انتظارها، تجاهلت أنها رأتها فجرت روز وراءها

وهي تقول: مي أنا آسفة لما حدث بالأمس لا تغضبي

مي: لست غاضبة بقدر قلقي عليك

روز: لا تقلقي أنا كما تقولون بمئة رجل

ضحكت مي وقالت: لا أعرف من أين أتيت بموسوعة الأمثال الخاصة بنا عموما سنرى.. وهيا بنا الآن لنتناول بعض الطعام فأنا جائعة منذ الصباح

روز: سآتي معك رغم أني فاقدة لشهيتي هذه الأيام

مي: لما يا روز لقد لاحظت أن لون وجهك تغير هل أنت مريضة

روز: معدتي متعبة بعض الشيء

مي: هل ذهبت للطبيب

روز: متاعب بسيطة وتزول لا تقلقي يامي

مي: الأفضل أن تذهبي للطبيب وسأذهب معك

ارتبكت روز وقالت: لا أحب الأطباء

مي ضاحكة: لا تخافي لن يعطيك حقنة، عموماً اهتمي بنفسك وكفي عن السهر والخروج الكثير فربما أثر عليك

روز: حاضر يا مي سأسمع كلامك

مي: طبعاً عليك أن تفعلي ذلك أم نسيت أنني أمثلك في الجامعة

روز: أخشى عليك من الغرور

مي: إذاً فلنتسابق وإذا سبقتي فأنت محقة وسأتنازل لك عن منصبي

ضحكت روز وراحت تجري وراء مي لكنها لم تتمكن من مواصلة ذلك فقد سقطت على الأرض متعبة بعد أن شعرت بخفقات قلبها تزداد بشدة

مي: روز ماذا بك

روز: لا شيء لم أجرِ منذ مدة.. راحت مي تساعد روز حتى نهضت وقالت لها:

يجب أن أوصلك للمنزل وأرجوك اذهبي للطبيب اليوم

روز: سأفعل يا مي اطمئني

عاد عمر من عمله مبكراً، فتح الحاسوب لعله يجد مي قد ردت على رسالته لكنه لم يجد رداً.. كان قلبه يخفق بشدة وعقله مليء بالأفكار وبالمشاهد الخيالية عن رد فعل مي عندما قرأت رسالته..

تارة يتخيلها سعيدة وتقفز من الفرحة وتارة يراها مغرورة وتتباهى أمام صديقاتها

وأخرى يراها متذمرة حانقة على تصرفه، لكن أياً من هذه المشاهد لم يكن مقنعاً بالنسبة له لكن.. لماذا يحير نفسه؟ ربما تفكر وهو يعلم جيداً أن مي ليست من النوع المتهور.. لما لا يمنح الأمر بعض الوقت، لا بد أن يكون من أصحاب النفس الطويل، لا ينال الحب الحقيقي شخص متعجل..

لا مفر من الصبر والانتظار حتى ينضج الحب على نار هادئة

أغلق الحاسوب وفضل الانشغال في استذكار بعض المحاضرات، يجب أن لا يضيع أي لحظة ..لا بد أن يكون جديراً بها

استدعى الأستاذ فتحي سناء.. كان غاضبا جداً، يذهب ويجيء في حجرته عند دخول سناء فوجئت به يقول لها: هذا الموضوع لن أكلف به أحد غيرك

ولن تعتذري ككل مرة بدون سبب مقنع

سناء: أي موضوع؟

فتحي: حادثة جديدة من حوادث المخدرات راحت ضحيتها فتاة جامعية في عمر ابنتك.. أريد تحقيق صحفي يليق بسناء الصحفية الكبيرة زاد خفقان قلب سناء خاصة عندما علمت أن الضحية فتاة في عمر ابنتها، لكنها لا زالت تخاف مما حدث معهم في الماضي

قطع صمتها صوت الأستاذ فتحي قائلاً: تمام.. اتفقنا

سناء: لكن يا أستاذ فتحي هناك العديد من الصحفيين في الجريدة يمكنك الاعتماد عليهم في ذلك

فتحي: لا أحد سيكتب هذا الموضوع مثلك.. لا أفهم حتى الآن سبب اعتذارك عن هذا النوع من الموضوعات

شعرت سناء أنها محاصرة ولا مجال أمامها للفرار فوافقت على مضض وهي تنوي أن تتناول الجانب الإنساني فقط في هذا الموضوع وأن تبتعد عن البحث عن المجرمين الحقيقيين

عادت مي مرهقة هذا اليوم من الجامعة فقد كان اليوم مشحوناً بالعديد من الأنشطة والمحاضرات، وجدت والدتها تجلس في الصالة في انتظارها

سناء: حمداً لله على السلامة.. لماذا تأخرت؟

مي: كنت مشغولة في الإعداد لرحلة، أمي جائعة جداً

سناء : دقائق وأجهز الطعام اذهبي واستبدلي ملابسك

جلست مي ووالدتها على طاولة الطعام، شردت سناء بفكرها ولاحظت ذلك مي فقالت لها بلهجة حانية

مي: ماذا بك؟

سناء: كلفني الأستاذ فتحي بموضوع عن ضحية من ضحايا المخدرات وكنت قد قررت أن لا أخوض في موضوعات من هذا النوع لكني اضطررت للموافقة وفي ذهني أن أتناول الجانب الإنساني فقط، لكن ضميري لا يشعر بالراحة فربما أعرف بعض المعلومات وأكون مضطرة إلى إخفائها وهذا لن يكون أمر جيد أبداً

مي: افعلي ما يمليه عليك ضميرك والله معك

سناء: خائفة يامي

مي: أمي لقد كان لك قلب أسد، إذا كنت أنا نقطة ضعفك فلا تخافي علي أرجوك

سناء: الله المستعان، أكملي طعامك وسأقوم بتجهيز الشاي

مي: نسكافيه يا أمي

سناء: أخشى عليك من إدمانه

مي: أنا أشرب مرتان فقط

سناء: فقط.. أمري لله سأجهزه لك

لم تتمكن مي من النوم، لا زالت رسالة عمر تؤرقها رغم مرور أكثر من شهر عليها، لا تعرف بما تجيبه.. تدرك جيداً أنها تحمل مشاعر جميلة نحوه، لكن معنى ردها أن تنشأ بينهما علاقة ليست مستعدة للدخول فيها وتخشى منها، فلا زالت تعتبر هذا التصرف غير مناسب لمبادئها وأخلاقياتها قررت أن تحكي لوالدتها فهي أفضل من ينصحها

توجهت إليها وطرقت الباب طرقات هادئة

سناء: تعالي يا مي

اقتربت مي بتردد ونظرت في عيني أمها لكنها تراجعت عن قول ما كانت تريده، لم تعتَد أن تتحدث معها في موضوعات من هذا النوع وتخشى من رد فعلها لذلك آثرت الصمت مجدداً

نظرت الأم بحنو لها وقالت: ماذا بك يامي

مي: لا شيء يا أمي، لم أستطع النوم فأتيت لأتحدث معك بعض الوقت

سناء: إنه من تأثير تناول النسكافيه، يجب أن تغيري هذه العادة السيئة يا مي

مي: حاضر سأحاول

سناء: وما أخبار روز

مي: بخير يا أمي لكنها مولعة جداً بشلة أصدقائها الجدد

سناء: وأنت؟

مي: تعرفت على معظم من في الكلية لكن الصداقة في حياتي تتلخص في روز وصديقاتي في مصر

سناء: أعلم أنك افتقدت أصدقائك في مصر لكن هكذا هي الحياة

مي: لا عليك يا أمي أنا متفائلة أننا سنعود إلى مصر يوماً ما

سناء: أتمنى ذلك

مي: سأحاول الآن النوم تصبحين على خير

سناء: وأنت من أهله

وانصرفت مي إلى حجرتها عازمة على أن لا تكرر هذه المحاولة مرة أخرى وأن تنسى الأمر برمته

مرت الأوقات على مي ما بين دراسة وأنشطة، حاولت خلالها أن تنسى عمر واجتهدت في ذلك..

أما سناء فقد صارت سلسلة المقالات التي تكتبها عن المخدرات وحادثة تلك الفتاة محط اهتمام الناس في أُستراليا وإن كانت قد ركزت بالفعل على الجانب الإنساني فقط لكن ما خطه قلمها كان له صدى كبيراً داخل المجتمع

كان عمر قد أنهى دراسته لهذا العام، اتفق مع أصدقائه على أن يلتقي بهم في المساء، عاد إلى المنزل عازماً على النوم لبعض الوقت ليتمكن من السهر احتفالاً بانتهاء العام الدراسي ، قبل أن ينام فتح الماسنجر في محاولة يائسة منه لرؤية رد مي على رسالته، بدأ يشعر بالندم لأنه أقدم على تلك الخطوة وعزم على أن لا يكررها على الأقل في الوقت الحالي

مي لم تكن متجاهلة لرسالته ولا غاضبه منها لكنها كانت بالفعل في حيرة من أمرها كانت تود أن تحكي لروز لكن خشيت أن تذكر ذلك روز أمام والدتها فتراجعت

مع بداية الإجازة بدأت روز تكثر من الخروج مع أصدقائها وقد اتفقوا على الذهاب في رحلة سفاري إلى أحد ضواحي أُستراليا، وهناك حيث المناخ البري الطبيعي قاموا بإعداد بعض الخيام وترتيب أماكن النوم وإعداد بعض الطعام، أتى عليهم المساء ظلوا يتسامرون طوال الليل ، بعض الأغنيات والصخب والمرح يملأ المكان.. كانت روز تقف مع مايكل تنظر له بانبهار.. كل ما في مايكل يثير إعجابها، ملامحة...طريقته في اختيار ملابسة، طريقته في الحديث، أفكاره المجنونة.. لم تمنعها تحذيرات مي من الانجراف في مشاعرها نحوه

أعطاها بعض الحبوب وقال لها: إليك هذه فهي تساوي السعادة

روز: هل هي نوع جديد

أومأ مايكل برأسه موافقاً واستطرد يقول: أقوى من آخر نوع أعطيتك إياه

روز بحماس: إذاً هيا بنا إلى السعادة.

وتناولت الحبة الخاصة بها أما هو فتظاهر بأنه فعل نفس الشيء لكنه وضع الحبوب في جيبة وككل مرة لم تلاحظ روز ذلك

تنتابها نشوة عارمة وخيالات رائعة لا تصحو منها إلا على ألم في رأسها وجفاف في حلقها، وفي كل مرة تتناول نوع جديد تشعر بأنه يضيف مزيداً من الوقت لسعادتها.. لقد أدخلها مايكل إلى عالم الأحلام، تدرك جيداً أنها تتعاطى المخدرات لكن كلمات مايكل تشجعها دائماً نحو الاستمرار

"الحياة قصيرة لنأخذ منها أروع اللحظات ولا يهم ما يحدث بعد ذلك.. هذه الحبوب ذات آثار جانبية ضعيفة فلا تقلقي منها.. يجب أن تشاركيني عالمي بكل تفاصيله"

ودائماً تنساق روز وراؤه.. أحياناً يعطيها ما أرادت بدون مقابل وأحياناً يدعي أن ليس لديه مال لشرائها فتعطيه روز كل ما لديها حتى يمنحها كما يقول تلك اللحظات الرائعة

اعتاد مايكل أن يستدرج ضحاياه بهذه الطريقة، يدعي أنه يحبهم ثم يمنحهم السم في العسل، ويتدرج معهم إلى أن يصل إلى أسوأ أنواع المخدرات

والده كان رجل بسيط عاش حياته مزارعاً إلى أن أنهكه المرض، وقد كان يحتاج إلى عملية باهظة التكاليف لم يجد من يساعده فمات أمام عيني

مايكل ..يومها شعر أنه حاقدٌ على المجتمع بأسره يريد أن يصب عليه لعناته.. غضبه وانتقامه لأنه ترك والده يموت بلا معين أو مساعد وكانت روز إحدى ضحاياه..

مرت الإجازة الصيفية وعاد الجميع إلى دراستهم

كان ذهن مي مزدحم بالعديد من الأفكار والمشروعات، تنوي إعادة ترشيح نفسها لنفس المنصب، تضع في برنامجها مبادرة ضد المخدرات وتريد أن تنفذها على أعلى مستوى، بدأت الدعاية لبرنامجها الانتخابي وكالمرة السابقة انشغل مايكل في محاربتها لكن هذه المرة بشراسة أكثر لدرجة أن روز تأثرت به وبدأت تحاول إقناع مي أن تنسحب من تلك التجربة، لكن مي رفضت وغضبت من روز لأنها طلبت منها ذلك

مي: ألهذه الدرجة أصبح يؤثر عليك

روز: لماذا تتحدثين معي بهذه الطريقة

مي: لأنك أصبحت غريبة في كثير من تصرفاتك

روز: بل أنت التي تغيرت.. روز لم تعد صديقتك المفضلة

مي: أنا لم أتغير أبداً، أنت التي تغيرت منذ تعرفت على ذلك المايكل

روز: لا تتحدثي عنه بهذه الطريقة

مي: آسفة يا روز لكن أخبري مايكل أني لن أتنازل ولا أدري لماذا يصر على محاربتي

انصرفت روز غاضبة.. حائرة بين صديقتها وحبيبها، بدأ مايكل يروج إشاعات أن مي تنتمي لجماعات متطرفة، ومي تحارب من أجل نفي تلك الشائعات لكن مع الأسف وجد من يستمع له ويوم إعلان النتيجة تم إقصاء مي لقلة عدد الأصوات رغم نجاحها الباهر في العام الماضي..

عادت إلى المنزل في هذا اليوم حزينة محبطة، وبدأت تكتب عن مشاعرها في المفكرة الخاصة بها، أغلقتها وفتحت الحاسوب، فوجئت برسالة من عمر.. بلهفة راحت تفتحها وتقرأ:

" مي لم اكن أنوي مراسلتك مجددا، لا أريد أن أفرض نفسي عليك ولكن، أشعر أنك تمرين بمحنة ..لو أردت أن تحكي لي أي شيء فأنا موجود كصديق.. ما عليك سوى إرسال رسالة ولست مضطرة إلى تكرار ذلك"

هدوء غريب اجتاح نفسها.. مي ولأول مرة تشعر أنها هي وعمر شيء واحد، و أن هناك رباط غير مرئي يربط بينهما

سمعت كثيراً عن ظاهرة الرؤية عن بعد لكن لأول مرة تشعر بها.. من أخبره، أي أفكار دفعته لإرسال تلك الرسالة، كيف شعر بها. .وجدت كلماتها تنساب في رسالة كتبتها له دون تفكير تحكي له ما حدث منذ سفرهما المفاجئ إلى أُستراليا وحتى الآن، ثم أنهت رسالتها بجملة" الآن استرحت ولتنسى كل ما قلته" ضغطت على زر الإرسال بلا أي تردد.. ثم ذهبت للنوم وبالفعل نامت وبعمق..

كان عمر في ذلك الوقت يستعد للذهاب إلى الكلية ، يفكر كثيراً في أمر سفره.. لم يتمكن بعد من استكمال ما يحتاجه من نفقات للسفر والدراسة وربما يضطر إلى الاستمرار هنا إلى أن يسافر لتحضير الماجستير والدكتوراه من هناك لأنه لو سافر الآن سيضطر إلى البدء من جديد..

دفعه الفضول لأن يفتح الحاسوب رغم عدم وصول أي رسائل قبل نومه ..

خفق قلبه بشدة حين لمح اسم مي ومع كل حرف كان النبض يتزايد، لا يكاد يصدق أنها أخيراً فتحت له قلبها وأخبرته بكل معاناتها.. أنهى رسالتها وانتهت معها حيرته وقلقه وأصبح يرى حلمه أكثر وضوحاً وملأته مشاعر بيضاء غاية في التفاؤل..

رد عليها برسالة قصرة غنية بالمعاني" أخيراً يا مي استطعت أن أنال ثقتك "

ثم أرسل أخرى:

"مي.. أعلم أنك تمرين بأصعب أيام حياتك ولكن ما أعلمه أكثر ومتأكد منه أنك أقوى منها والشيء الآخر أن قلبك عامر بإيمان حقيقي ولهذا السبب سيظل الله عونك وسندك في كل الظروف، سعيد جداً لأنك وثقت بي وحكيت عن كل ما أفزعك.. لكن اطمئني قريباً نلتقي فقط ابقي قوية كما أنت، نقية.. صافية.. فمنك أستمد الضوء والنقاء والدفء"

عندما قرأت مي رسالة عمر اهتزت من الداخل وذهبت بعيداً عن دنياها إلى دنيا أخرى لم تعهدها من قبل، صارت لا تعرف ماذا تقول وماذا تفعل ..

فتحت نافذة الغرفة.. تتأمل الأمطار التي أغرقت الشوارع، تستمد منها العون على ما تشعر به.. وإذا بمشاعرها تهطل مع هطول الأمطار ولا شيء يمنعها..

ربي.. ماذا أفعل الآن؟ أنا في ورطة.. قلبي في ورطة.. عقلي في ورطة..

لا .. ليمكنني فعل ذلك...ليس من حقي هذا الحب.. ماذا أفعل؟.. ليتني ما قمت بالرد على رسالته.. سأقوم بحظره الآن

لكن كيف أفعل؟ أأقتل نفسي.. لا أستطيع..

روز.. لا بد أن أحكي لروز.. لكن ماذا أقول لها ؟ وقعت عمدا في الحب.. ستنهار ضاحكة وتتأملني مليا وتبدأ في إطلاق النكات

أأقول لأمي.. ربما صرخت في وجهي قائلة: مي.. أنت تعلمين ظروفنا الآن.. لا تزيدي الأمر سوء وتجعليني أخاف عليك أكثر.. من عمر هذا وماذا نعرف عنه اعقلي

آه يا إلهي أنا حقاً في ورطة..

يجب أن يصمت ذلك الذي ينبض في صدري، لا بد أن يقف العقل فوراً عن التفكير

اهدئي يا مي لا تنجرفي هكذا..

ازدادت الأمطار وانكمشت مي داخل ذاتها.. بكت كما لم تبكِ من قبل وكأنها ادخرت دموع الأيام السابقة لتلك اللحظة

والدتها كانت نائمة انتبهت إلى صوت بكائها فقامت مفزوعة وتوجهت إلى حجرتها فتحت الباب ففوجئت مي بدخول أمها فراحت تجفف دموعها سريعاً، اقتربت منها سناء وهي فزعة تنظر لعينيها بذهول وتقول: مي.. ماذا بك؟

مي: لا شيء يا أمي تذكرت أمراً ما

عانقت سناء ابنتها وقالت: تكذبين احكي لي ماذا حدث أكاد أموت خوفاً عليك

مي: لا شيء مهم يا أمي صدقيني

سناء: لا أصدقك.. ثم جذبتها من يدها وجلست معها على حافة السرير وقالت لها: احكي يا مي أم ستبحثين عن صديقة تخبرينها بدلاً مني.. أمك هي أكثر شخص يحبك في العالم وأكثر من يمكنه مساعدتك

صمتت مي لبعض الوقت وانتظرت سناء ردها إلى أن قالت بتلعثم: عمر..

حكت مي كل ما يخص موضوع عمر بداية من شعورها بالارتياح نحوه عندما كانت في مصر إلى آخر رسالة كتبها لها

ربتت سناء على كتفها وقالت: لا زلت صغيرة وعمر أيضاً صغير.. لا يمكنكما الارتباط الآن، ثم أننا لا نعرف شيئاً عنه ولا عن أسرته، لا أريد لك الخوض في تجربة فاشلة ، صدقيني يا مي لا الوقت ولا الظروف مناسبة

مي: لكن ماذا أفعل لقد تعلق قلبي به

سناء: ما أعرفه عنك أنك قوية ماذا حدث

صمتت مي وتحدثت الدموع بدلا منها فعادت سناء تقول بلهجة حانية أرجوك يا مي قاومي تلك المشاعر أو على الأقل لا تسمحي لها بالنمو أكثر من ذلك ، من الجائز جداً أن تمنعه ظروفه من الحضور إلى هنا هل سترتبطان عن طريق الإنترنت

استمرت مي في الصمت

سناء: مي حبيبتي مقتنعة بكلامي أم لا.. أومأت مي برأسها موافقة لتنهي الحوار الذي أسلمها إلى حيرة فوق حيرتها
هل تستجيب لطلب والدتها ؟ هل تستمر مع عمر؟

لم يكن بوسع مي بعدما أصابتها الحيرة إلا أن تقرر الهروب من الموضوع كليا فهي غير قادرة على الاقتراب أو الابتعاد، لذلك قررت إغلاق حسابها على الفيس بوك والماسنجر.. كثيراً ما فكرت في فتح حسابها مرة أخرى لكنها لم تقوى على اتخاذ هذا القرار خاصة عندما كانت تنظر في عيني والدتها وترى بهما كثيراً من الخوف والقلق..
حاولت أن تشغل نفسها في الدراسة والأنشطة المتاحة بعد أن خسرت دورها كممثلة للطلاب.. لكنها لم تكف عن كتابة الخواطر التي تعبر بها عن مشاعرها

تأخر رد مي كثيراً.. فات أكثر من ثلاثة أشهر، في البداية اكتشف عمر أن حساب مي مفقود بالنسبة له فاعتقد أنها قامت بحظره لكنه تمالك شجاعته وسأل هدى صديقتها التي كانت لحسن حظه زميلة له في الكلية فأخبرته أن حسابها مغلق ولا أحد يدري لماذا أقدمت على ذلك.. بدت الدهشة على وجه هدى فبادرها قائلاً: كنت أحب مشاهدة المنشورات الخاصة بها فهي تعطيني معلومات أكثر عن أُستراليا وهي مكان رائع جداً.. شكر هدى وانصرف بعد أن جاهد في إخفاء الارتباك الذي كان يشعر به.. وصارت تنتابه مشاعر متناقضة.. سعادة لأنها لم تقم بحظره وقلق لأنه هو السبب في غلق حسابها، ومعنى ذلك انقطاع الخيوط التي تربطه بها ويعلم منها بعض أخبارها..

بدأ يشعر بالندم ليته ترك الأمر للأيام بدلاً من إضاعة مي إلى الأبد

في ذلك الوقت كانت مي في طريقها إلى روز لتعطيها بعض المحاضرات فهي مريضة منذ مدة بالمنزل، دخلت مي حجرة روز، أصبح للحجرة شكل مختلف عن آخر مرة زارتها فيها فقد امتلأت بصور لنجوم الراب وصور من أفلام رعب مشهورة وكأنها ترى شخصية أخرى أمامها

عانقتها روز وبادرتها الحديث قائلة: أريد أن أخبرك بأمر هام

مي: ما هو؟

روز: مايكل اعترف لي بحبه

انقبض قلب مي وهي تقول لها: وهل أنت واثقة من مشاعره نحوك

روز: بالطبع أنا متأكدة، مايكل هذا شخص رائع يأخذني إلى عالم خيالي كم كنت أحلم بالدخول فيه

مي: لكنه..

روز: تقصدين غريب الأطوار بعض الشيء، هذا أكثر شيء يعجبني فيه.. إنه مجنون وجنونه رائع.. كم أنا مغرمة به

مي: مبروك يا روز

روز: أشكرك جداً يامي

مي: لكن لماذا أرى وجهك مجهداً لهذه الدرجة ألا زلت تسهرين لوقت متأخر

روز: نعم.. إنه أجمل ما حدث لي منذ دخلت الجامعة وأريدك أن تأتي معي قريباً

مي: تعلمين أنه لا يمكنني ذلك يا روز واتفقنا على أن نحترم ما بيننا من اختلاف

روز: حسنا يا مي كنت فقط أريد أن تشاركينني سعادتي

مي: لكم أتمنى أن تكون سعادة حقيقية يا روز لا مجرد أوهام

روز: دائماً أنت متشائمة

مي: لست متشائمة لكني أخاف عليك كثيراً.. لكن ألم يمنعك الطبيب من السهر

مي: أنا لا أهتم بما يقول لا تشغلي بالك

مي: لا فائدة إذا...اهتمي بنفسك يا روز.. ألقاك قريبا

روز: لما أنت متعجلة

مي: أخبرت والدتي أنني لن أتأخر إلى اللقاء

روز: إلى اللقاء

ازدادت روز نحولاً وذبولاً.. وازدادت تعلقاً بمايكل..

وأثناء رحلة شاطئية لها مع مايكل وأصدقائه، جلست معه بجوار إحدى البحيرات..

الجو معتدل والطبيعة الخلابة تضفي على نفس روز مشاعر فياضة تؤجج الحب ، نظر مايكل إلى روز قائلاً لها: لم أعد قادراً على الاستغناء عنك يا روز وأريدك أن تكوني معي إلى الأبد

روز: ليس مثلي فأنا أذوب مع كل حرف من حروف كلماتك، لكن متى يا مايكل نتزوج ونعلن للدنيا كلها هذا الحب

مايكل: قريباً يا روز لا تقلقي

نظر مايكل إلى كوب العصير الذي تتناوله روز كان قد قارب على الانتهاء

مايكل: هيا يا روز أكملي العصير إنه أكثر من رائع

روز: فعلاً كل شيء جميل اليوم، وأمسكت العصير وراحت تكمله وهي تنظر لمايكل وابتسامة بريئة تغمر وجهها ..وبعد دقائق غفت روز وهي في مكانها..

ابتسم مايكل ابتسامة شيطان وأخرج من حقيبته أمبول وحقنة وراح يملأها ويعطيها لروز.. لقد أحكم الخطة بنجاح أعطاها بعض الحبوب المنومة حتى يتمكن من حقنها بالمخدر الذي عرضه عليها سابقاً وكانت ترفضه قائلة: أخاف من الحقن يكفيني الحبوب فهي تأخذني إلى عالم أخاذ...

طلب مايكل من أصدقاؤه مساعدته لحمل روز إلى حجرتها في الفندق الذي يقيمون فيه وتركها بعد أن أغلق نور الحجرة

في المساء استيقظت روز.. نظرت حولها بذهول وتذكرت الأمس...وهي تقول: أين أنا؟ من أتى بي إلى هنا؟

استبدلت ملابسها واتصلت بمايكل لتسأله عما حدث فأخبرها أنها أغمى عليها بالأمس وأنهم أحضروا لها الطبيب أعطاها بعض الادوية وحقنة فأفاقت لبعض الوقت ثم طلب منهم تركها لتنام وأن عليها الاستمرار في العلاج لمدة أسبوع

روز: يا إلهي كل هذا حدث لي لا بد أن أوقف تلك الحبوب الملعونة ، وأنت أيضاً يا مايكل

ابتسم مايكل والسعادة تملأ قلبه فقد نجح في إقناع روز البريئة بأنها مريضة..

وفي نفس الموعد طرق باب حجرتها ليقوم بحقنها فذهبت في أحلام وردية انتهت بأنها غابت عن الوعي ولم تستيقظ إلا في المساء، وعندما استيقظت وتذكرت تفاصيل ما حدث والصداع يملأ رأسها أيقنت أنها وقعت في إدمان من نوع جديد لكن هذه المرة دون اختيارها..

كادت تنهار.. مايكل !! لماذا فعل بي ذلك؟ كيف يحبني ويقتلني بيده؟

آه ليتني سمعت نصيحتك يا مي...ليتني ما عرفته

بعصبية راحت تطرق باب مايكل.. فوجئ بها أمامه

روز: لماذا يا مايكل؟ أتكرهني لهذه الدرجة؟

تظاهر مايكل بأنه لا يفهم وقال: عن أي شيء تتحدثين

روز: لن تستطيع خداعي مجدداً أنت من فعل بي ذلك.. أعلم أنه لم يكن دواء كما قلت لي أتذكر كل شيء حدث بالأمس، لماذا يا مايكل؟ لماذا؟ وانهارت في البكاء لكنه لم يجب بأي كلمة

وبعد فترة صمت تكلم فكانت كلماته كسم الأفعى: المرة الأولى والثانية كانت هدية لكن المرة القادمة يجب أن تدفعي ثمنها.. ازداد نحيب روز وعلا صراخها وهمت أن تحطم كل ما في الغرفة لكنها انصرفت آسفة على صدمتها في حبيبها أكثر من خوفها على ما حدث معها..

روز التي كانت نموذجاً للتفاؤل والمرح أصبحت شبحاً ضعيفاً لا ترى إلا وآثار الحزن بادية على وجهها، يقتلها المخدر وتقتلها صدمتها في أول حبيب لها الذي تجاهل كل كلمات الحب وكل المشاعر الرائعة التي منحتها إياه..

تحاملت على نفسها حتى لا يعلم أي إنسان شيء عنها ، كانت تخشى على والدتها من الصدمة وغير قادرة على اتخاذ قرار الابتعاد عن الإدمان.

كانت مي منشغلة في أخذ قرصات في الحاسب الآلي واللغة الفرنسية، تريد أن تشغل نفسها بأي عمل إيجابي يبعدها عن التفكير في عمر فهل نجحت؟ على مشارف العام الدراسي الجديد اتخذت قرارها" أنا قوية. لا أحد سيجبرني على اتخاذ قرار لا أريده" وقامت بإعادة فتح حسابها على الفيس.. تتبعت أخبار صديقاتها وتواصلت معهم.. انهالت عليها الأسئلة: أين كنت؟ لماذا أغلقت الحساب؟ ما أخبارك؟

عمر الذي ظلت الحيرة صديقة له طوال الفترة السابقة لم يصدق نفسه عندما رأى صورة مي تعاود الظهور من جديد كشمس أشرقت بعد ليل طويل.. لكنه تمالك نفسه ولم يحاول إرسال أي رسالة لها مرة أخرى واكتفى بمراقبتها من على بعد

جلست سناء داخل حجرة مكتبها تقرأ تعليقات القراء على آخر مقال لها في الجريدة، بعض الآراء مشجعة والقليل محبط.. لا بد من وجود من يختلف معك مهما كنت على درجة عالية من الثقافة والنضج الفكري

سمعت طرقات على باب المكتب فأذنت لصاحبها بالدخول، رأت مي أمامها.. تهلل وجه سناء واقتربت منها وهي تقبلها قائلة: أهلا مي مفاجئة رائعة

مي: أنهيت محاضراتي اليوم مبكرا فأردت أن أزورك في الجريدة منذ مدة لم أفعلها

سناء: هذا صحيح اجلسي يامي

مي: كنت أود أن أحدثك في موضوع

سناء: تفضلي

مي: روز يا أمي تغيرت كثيراً

سناء: كيف

مي: لم أرها منذ مدة بسبب انشغالي في الكورسات وفي الوقت نفسه لم تحاول هي الاتصال بي أو زيارتي.. اليوم رأيتها في الجامعة.. أصبحت غريبة في الطباع والشكل، عصبية جداً لا تتحمل أي ضغط، لم أعد أعثر بداخلها على ملامحها القديمة

سناء: وهل سألتها عن سبب ذلك

مي: سألتها فأخبرتني أن سفر والدتها للعمل في ألمانيا هو السبب لكني غير مقتنعة

سناء: حاولي معها مرة أخرى.. يمكنك زيارتها في منزلها اليوم ومحاولة التأثير عليها ربما تتكلم معك

مي: سأحاول يا أمي.. سأحاول

الجو الخريفي يسيطر على المدينة، الهواء يداعب أوراق الشجر وهي تتساقط في خفة ورشاقة حالمة.. أفكار عديدة تملأ عقل ووجدان مي، ربما عودة الخريف سببا فيها ..عمر.. لا زال يمكث في ركن ما من أركان الذاكرة ، يأبى قلبها أن يتخلى عنه رغم كل محاولاتها للهروب

تنهدت بألم وشجن وانتقلت بأفكارها إلى روز.. ترى ماذا حدث معك يا روز؟

كيف تبدلت من فتاة هادئة حالمة إلى فتاة قلقة مضطربة شديدة العصبية.. هل صدمت في حبها لمايكل.. هل قام بإيذائها وتركها.. لا تدري.. لكنها لا تصدق أن ما وصلت له بسبب سفر والدتها لألمانيا

اقتربت من منزل روز.. طرقت الباب ملياً لكنها لم تتلقَّ إجابة.. آه يا ويلي لقد نسيت الاتصال بها قبل الحضور.. حاولت الاتصال لكن هاتفها لم يكن متاح ، انصرفت آسفة وعادت إلى منزلها تراقب أوراق الشجر المتساقطة وتعيد أفكارها من جديد.. عمر.. روز

في الصباح وبعد دخولها أول محاضرة خرجت تبحث عن روز فهي لم تكن ضمن الحاضرين، لمحت إحدى صديقات روز ومايكل، اقتربت منها وقالت: صباح الخير يا ميري

ميري: صباح النور

مي: أريد ان أسألك عن روز ألم تحضر اليوم

ظهرت الدهشة على وجه ميري وقالت: لا لم أشاهدها هي لم تسهر معنا بالأمس حسنا ها هو مايكل يمكننا سؤاله

انتبهت مي وتوجهت مسرعة نحو مايكل وسألته عن روز فأجابها بتعجرف: لا أعرف شيء ألست صديقتها المخلصة المفروض أن تعرفي كل شيء عنها لست أنا، همت بأن تصيح في وجهه وتقول أنت من أخذت مني صديقتي لكنها فضلت الابتعاد بعد أن وجهت نظرة ازدراء له

أحضرت الهاتف وراحت ترن على روز بلا جدوى تذكرت أن لديها نمرة أرضية فرنت عليها ربما ترد الخادمة وتطمئن عليها لكن.. لا أحد يرد

شعرت مي بقلق شديد فانصرفت مسرعة متجهة إلى منزل روز.. طرقت الباب بعصبية ودقت الجرس لم تتلقَّ أي رد، وجدت النوافذ مغلقة ،ترى إلى أين ذهبت.. ماذا تفعل.. هل تهاتف والدة روز؟ لكنها تخشى أن تصيبها بالذعر.. روز لا تخرج مع أحد سوى معها ومع هذه الشلة لا تعرف هنا سوى.. تذكرت جد روز فراحت تهاتفه ، جاءها صوته وواضح عليه آثار النوم سألته عن روز صدمها أنه لا يعرف شيء عنها وأن آخر مرة حدثته فيها كانت منذ أسبوع

جلست في حديقة المنزل تفكر فيما تفعل فقررت الاتصال بوالدتها وأخبرتها بكل شيء فاتصلت سناء بالشرطة وأعطتهم العنوان

وبالفعل تم كسر باب الشقة وكانت المفاجأة أن روز ملقاة في حجرتها على الأرض فاقدة للوعي، صرخت مي وجرت على صديقتها تحاول إفاقتها بلا

جدوى ظلت عيناها تدور في المكان تحاول معرفة سبب ما حدث لصديقتها ونبضات قلبها تعلو بلا توقف أسرعت سناء واستدعت الإسعاف الذي حضر في وقت قصير لتنقل روز إلى المشفى

تقلص حلم عمر في الذهاب إلى أُستراليا فهو إن ذهب الآن سيبدأ الدراسة من جديد هناك وسيكون هذا مرهقاً جداً له فقد مر عامان في دراسة شاقة وسهر ليل ونهار ، كما أنه لم يوفر بعد النفقات المطلوبة ربما يجب عليه الانتظار حتى ينهي دراسته هنا ويسافر لعمل الدراسات العليا.. لكن معنى ذلك أن يتأخر لقاؤه بمي أكثر

دخل عليه والده وجده غارقاً في أفكاره فاقترب منه وقال: عمر.. أشفق عليك من هذا الحلم لماذا لا تتنازل عنه وتبقى معنا وكل شيء نصيب

عمر: أبي أرجوك لا تحرمني من تحقيق حلمي، أصبح الآن هو أهم شيء في حياتي.. عموما يبدو أنني لن أتمكن من السفر قبل الانتهاء من الكلية.. كما تعلم الراتب الذي أتقاضاه ضئيل ولن يكفي ما ادخرت للسفر الآن حتى أكون قادراً على دفع المصروفات وتأجير مسكن

الأب: لا أدري ماذا أقول لك ليتني كنت أملك مساعدتك

عمر: لا عليك يا أبي أريد فقط دعواتك

الأب: فليوفقك الله لكل ما تحب، سأذهب لأنام قليلاً فقد كان يوم عمل شاق

عمر: تفضل يا أبي

وقبل أن يبدأ عمر قراءة محاضراته أحضر الحاسوب وبدأ يبحث عن منشورات مي فلم يجد شيئاً جديداً.. أغلقه مرة أخرى وهو يقول لنفسه: ترى أين أنت يا مي الآن وماذا تفعلين؟

في المشفى جلست مي ووالدتها في حجرة الانتظار حين خرج لهم الطبيب وقد بدى عليه الإجهاد

مي: ما الأخبار يا دكتور

الطبيب: للأسف روز مدمنة لنوع خطير من المخدرات.. وقد أثر ذلك على صحتها بشكل عام، تمكنا من إفاقتها لكنها ستعاني من أعراض شديدة بعد قليل وستطلب المخدر الذي تتعاطاه، سيتم نقلها إلى قسم علاج الإدمان

مي بذهول وحسرة: مخدرات.. هل أنت متأكد

الطبيب: طبعا لقد قمنا بعمل كل التحليلات لها وتأكدنا من ذلك

انصرف الطبيب بينما انهارت مي في البكاء اقتربت منها سناء وراحت تحتضنها وهي تقول: مي يجب أن تكوني قوية أنت من سيقف معها

مي: مايكل هو السبب أنا متأكدة ،كثيراً ما حذرتها منه

سناء: مي تماسكي ستعالج إن شاء الله ، هي تحتاجك الآن أكثر من أي وقت

اقتربت مي من حجرة روز واستأذنت الممرضة أن تدخل لتراها فوافقت على شرط أن لا تمكث أكثر من خمس دقائق

دخلت الحجرة، وجدت روز على الفراش والمحاليل معلقة بيدها ويبدو على وجهها الهزال الشديد، اقتربت منها مي وقالت: حمدا لله على سلامتك يا روز

لمعت عيني روز بالدموع وقالت: سلمك الله يا مي.. انظري ماذا حدث لي

مي: لا عليك يا روز ستشفين بإذن الله

روز: أتمنى ذلك يا مي.. لكن هل سأل عني مايكل

مي: ألا زلت تهتمين بهذا الخبيث.. هو سبب مأساتك لا محالة

روز: أنا أحبه وحبي له سيغيره

مي: لا يستحق حبك هو حتى لا يهتم لغيابك

روز: لا تقولي ذلك يا مي.. وبدأ صوتها يجهش بالبكاء فدخلت الممرضة وطلبت من مي مغادرة المكان فقالت مي وهي تنصرف: تماسكي يا روز أريدك أن تعودي من أجلي لا تيأسي واستمري

غادرت مي الحجرة وهي تشعر بأسف شديد لما حدث مع روز نظرت لأمها التي كانت تقف في الخارج وقالت: كان من الممكن أن أكون أنا من ينام في هذا السرير

كان عمر عائداً من الكلية، الدراسة في كلية العلوم دراسة شاقة ويزداد العناء لأنه يعمل في المساء كما هو.. لكن حلمه وحبه لمي كانا هما الدافعان اللذان يحركانه في ذلك الوقت

قرأ كثيراً عن أُستراليا تلك القارة الساحرة وقرأ عن أهم ما يميزها ومشكلاتها، نوعية وتكاليف الدراسة بها.. صار مريضا بحب هذا المكان ومن فيه، فقطعة من قلبه تسكن هناك.. كيف لمشاعر حب أن تعيش رغم تلك المسافات الشاسعة التي تفصل بينهما يا لها من معجزة.. حقا الحب في ذاته آية من آيات الله في الأرض..

لا أحد يمكنه رسم حدود زمان أو مكان يحده

لكم يحلم بلقاء مي مرة أخرى ليحدثها عن أدق تفاصيل حياته وكيف حركه حلمه لكي يظفر بهذا اللقاء، تنهد بعمق ونظر إلى هاتفه.. كانت الساعة تشير إلى الخامسة مساء، سيضطر الذهاب للعمل مباشرة قبل أن يذهب للمنزل فقد تأخر اليوم في الكلية، حسنا لا مفر من شراء السندويتشات الشعبية ما باليد حيلة

توجه بخطوات سريعة نحو العمل حتى لا يتأخر فقد كان موعده الخامسة والنصف، وضع هاتفه في جيبة وسار بصحبة أحلامه الوردية

في الصباح جلست سناء على مكتبها، جملة مي الأخيرة ترن في أذنها " كان يمكن أن أكون أنا من ينام في هذا السرير"

نعم الخطر ليس ببعيد.. هم أصدقاء روز وكان من الممكن أن تصادقهم مي من أجل روز، موجود أشباههم في كل مكان.. الجامعة.. العمل.. حي.. مدينة.. بلد..

من السلبية ترك هؤلاء يعبثون بمصائر الشباب.. الصمت يعني ذلك.. والضحية أبناؤنا

لا يا مي لن أسمح بأن تكوني في نفس الفراش

اتخذت سناء قرارها.. لن تخشى من أي شيء بعد الآن.. لا بد أن نهاجم الوحش قبل أن يلتهمنا

أمسكت ورقة وقلم وراحت تخط عنوانا لتلك الحملة التي تنوي شنها عن تداول المخدرات داخل الجامعة.. كانت كلماتها أشبه برصاصات قاتلة توجهها إلى كل من ساهم في مأساة روز، مرت ساعة حتى انتهت من مقالها وتوجهت نحو رئيس التحرير

قرأ كلماتها بشغف ونظر لها بحماس قائلاً: هذه هي الأستاذة سناء كما أعرفها، أي شيء تحتاجينه في تلك الحملة نحن على أتم الاستعداد

سناء: شكراً أستاذي الفاضل أتمنى أن يوفقني الله فالأمر لم يعد مجرد موضوع.. لقد أصبح شبحا يقترب من أقرب من لدي في هذه الحياة

فتحي: بالتوفيق أستاذة سناء وأعدك بمفاجئة بعد انتهاء هذه الحملة

سناء: ماهي

فتحي: وكيف تكون مفاجئة إذاً

سناء: أشكرك جداً أستاذ فتحي

ثم استأذنت في الانصراف بعد أن قررت الذهاب للجامعة للبدء في أول تحقيق صحفي لها في تلك الحملة

مكثت روز في مركز علاج الإدمان أكثر من شهران، تحاملت كثيراً على نفسها لتتخلص من سيطرة المخدرات، كانت مي قد اتصلت بوالدة روز وأخبرتها بما حدث فألغت جميع التزاماتها وعادت لتكون بجوار ابنتها..

مي تتردد على روز باستمرار لتقوي من عزيمتها وتخفف عنها، وبالفعل بدأت روز تحسنا ملحوظا

خلال ذلك كانت سناء مستمرة في حملتها.. أجرت أكثر من لقاء داخل الجامعة توصلت لبعض الأسماء لكن بدون أدلة أجرت حوارات مع بعض ضحايا المخدر.. كانت تهدف إلى لفت أنظار رجال الشرطة بتلك المقالات لكن مع الأسف رغم أنهم تحركوا بالفعل إلا أن تجار تلك السموم كانوا أكثر استعدادا وأخفوا كل شيء يمكن أن يرشد إليهم

أوقف مايكل وشلته أعمالهم والتزموا بحضور المحاضرات وأصبحوا يعودون لمنازلهم باكراً لا سهرات ولا رحلات وصار من الصعب في هذا الجو الحذر كشف الحقيقة

عادت روز إلى دراستها هزيلة محبطة.. مي تساعدها لتعويض ما فاتها، لكن شيء ما بداخل روز قد تغير.. ثقتها بنفسها.. بالآخرين، لقد أصابها المخدر في كل شيء جميل بداخلها.. مي تحاول استعادة روز.. تخرج معها كثيراً.. تهاتفها.. تزورها لكنها تجد روز دائماً الوقت شاردة واجمة

والدة روز معظم الوقت خارج المنزل، صحيح أنها عادت لتعيش مع روز بعد تركها للعمل في ألمانيا لكنها تركز على عملها أكثر من أي شيء آخر وترى أن الماديات هي أهم شيء لتأمين مستقبل روز.. ونسيت وحدة روز وغياب الأب الذي كان يجب عليها أن تعوضه

كانت روز تجلس في غرفتها تتأمل الطرقات المحيطة بالمنزل، تتذكر ضحكاتها هي ومايكل والشلة المثيرة للاهتمام.. شيء ما يجذبها إليهم رغم أنها أدركت أن مايكل لا يكن لها حب حقيقي، لكنها لا زالت متعلقة بجلادها وتحن لأيامها معه.

منذ مدة يحاول الاتصال بها وهي تتجنب الرد عليه، لكن ذاتها المريضة بحبه تحدثها بأنه ربما يشعر بالندم وأنه غير قادر على البعد عنها

أمسكت الجوال بيد مرتعشة وراحت تطلب مايكل

جاءها صوته ناعماً نعومة الثعبان يقول لها بحنين مصطنع: روز.. لقد اشتقت لك كثيراً لماذا لا تردين علي

روز: ولماذا أرد وقد خدعتني باسم الحب

مايكل: روز حبيبتي...أنا لم أخدعك يوماً، منذ البداية وأنا أحبك، كنت فقط أريد أن تشاركينني عالمي المجنون، لم أكن أعلم أنك لن تتحملي أنا آسف جداً حبيبتي وأعدك أن لا أعود لذلك مرة أخرى فقط سامحيني

تلعثمت روز وقالت والدموع تنهمر من عينيها: وأنا أيضاً اشتقت جداً لك وأريد أن أراك

مايكل: إذا انتظرك في النادي.. لا تتأخري

أغلقت روز الخط وراحت تبحث عن أبهى ملابسها وتصفف شعرها وتضع بعض المساحيق الخفيفة وكأنها تقول لنفسها: أبداً لم أكسر، لم أخدع وهأنذا أعود للحياة من جديد..

رن هاتفها فوجدت مي المتصلة

روز: مي حبيبتي ما أخبارك

مي: الحمد لله وأنت

روز: في أفضل حال

مي: هل آتي لنخرج معا بعض الوقت

روز: آسفة يا مي فلدي موعد

انقبض صدر مي وقالت: موعد مع من؟

روز: صديقة لي من الطفولة.. ألقاك غدا

مي: اعتني بنفسك

روز: لا تقلقي أنا في أفضل أحوالي

أغلقت مي المكالمة وهي تشعر بالخوف على روز، لقد حذرهم الطبيب من عودة روز إلى المخدر مرة أخرى فالعلاج في هذه الحالة سيكون أصعب واستعدادها النفسي أقل

قررت أن تهاتفها مرة أخرى

روز: ماذا يا مي

مي: إياك يا روز أن تعودي لمايكل مرة أخرى

روز: اطمئني يا مي لست صغيرة وأعرف كيف أتصرف، أتركيني الآن حتى لا أتأخر

مي: عديني يا روز

روز: أعدك

على إحدى الطاولات في النادي جلست روز مع مايكل، بدا عليه الهدوء أكثر من أي وقت، كان ينظر من آن لآخر في هاتفه كأنه ينتظر رسالة من شخص ما

روز آثرت الصمت لفترة طويلة إلى أن بدأ حديثه معها

مايكل: روز.. هل تعتقدي ولو للحظة واحدة أنني قادر على إيذائك حبيبتي..

إنك تملكين كل ذرة في تفكيري.. يمكنني أن أؤذي نفسي أما أنت فلا

روز: وكيف لي أن أصدقك بعد كل ما حدث

مايكل: روز صدقيني.. أنا لم أضع لك المخدر في العصير وعندما قمت بحقنك كنت أود أن تعيشي معي اللحظة لأني أعلم خوفك من هذه الأشياء.. كانت تجربة لكلينا في نفس الوقت وأنا كما ترين لم أتأثر بشيء، تكوينك الضعيف هو الذي سبب لك هذه المشكلة

استطاع مايكل خداع روز، نجح في إعادة ثقتها فيه، وأرادت هي متعمدة أن تعود تلك الثقة فهي لا تقوى على تحمل فكرة أنه لا يحبها..

عادت السهرات والرحلات و..

ومر الوقت وبدأ يعيد معها المحاولة مرة أخرى، يتظاهر أنه يأخذ نوع جديد من المخدر وأن هذا النوع لا يسبب الإدمان وضرره بسيط.. رفضت

روز فانصرف مايكل مدعياً أنها لا تثق به، يذهب بعيداً عنها ليحدث أخريات، يثير الغيرة بداخلها.. انصرفت غاضبة إلى المنزل فاتصل هاتفياً بها: روز ماذا بك لم أكن أعلم أنك بهذا الجبن

روز: لست جبانة.

مايكل: لكنك ترفضين مشاركتي عالمي.

روز: لقد عانيت سابقاً من مثل هذه الأشياء ولا أريد تكرار التجربة

مايكل: كما تشائين أنت لا تثقين بي ثم أغلق الهاتف ،حاولت الاتصال به مرة أخرى لكن جواله كان مغلقاً

طوال الليل لم تنم روز تفكر كيف يمكنها الاحتفاظ بحبه دون أن تكرر التجربة مرة أخرى، يرفض قلبها أن يصدق أنه يريد إيذاءها ودائماً لديها مبرر لكل تصرف فهي تراه شاباً مجنوناً يحب المغامرة ويبحث عن السعادة وهي تعشق جنونه وذلك العالم الخيالي الذي يدخلها فيه لا تفكر في نهاية هذا الطريق الذي تسلكه ولا تجد في حياتها ما يملأ فراغها ويمنحها السعادة سوى علاقتها بمايكل

ذهبت مي مع والدتها في زيارة إلى خالها، من وقت لآخر تذهبان لزيارته رغم عدم اهتمام خالها بهم لكن سناء تحرص على بقاء هذا الخيط الرفيع الذي يربط بينها وبين أخيها..

مي سعيدة جداً بهذه الزيارة فهي تحب أبناء خالها كثيراً وتبقى طوال الوقت في حديقة المنزل تلعب معهم

كانت سناء تجلس في الصالة مع أخوها وزوجته يرتشفون الشاي

عصام: أراك تشنين حملة كبيرة هذه الأيام على تجار المخدرات ألا تخافين أن يعيد التاريخ نفسه معك

سناء: لم أعد أخاف من شيء بعد أن رأيت أقرب صديقة لمي تقع فريسة للمخدرات.. لا بد أن نطهر العالم منهم لكي ننعم بالأمان

ضحك عصام بسخرية وقال: المخدرات ليست هي الشر الوحيد الموجود في هذا العالم

سناء: ولكنه من أسوأ الشرور أليس كذلك

أومأ عصام برأسه موافقا بينما قامت زوجته لإحضار بعض الصور لها هي وأبنائها في بعض نزهاتهم، زوجة عصام امرأة بسيطة جداً وتلقائية تتعامل مع الناس من هذا المنطلق ولكنها لا تنفعل كثيراً لمشاكل الآخرين

سناء: ما شاء الله جميلة الصور جداً حفظهم الله

زوجة أخيها: أشكرك، قريباً عيد ميلاد ابني سأنتظركم

سناء: سنحاول إن شاء الله

ثم نادت مي واستعدت للانصراف

مي: أريد أن أبقى لبعض الوقت

سناء: لا يا مي تأخرنا، فجاءت مي غاضبة بينما ابتسمت زوجة أخيها وقامت لمصافحتهم هي وعصام

عصام: حاولي تغيير الموضوع الذي تكتبين فيه يكفي ما حدث لك في مصر

سناء: لا تخف سأكون بخير

عادت روز كعادتها سابقاً إلى الحبوب المخدرة لكنها لم تستجب لأخذ الحقن التي طلب منها مايكل أن تأخذها، لاحظت في هذه السهرة أنه يتقرب كثيراً من لورا ويتجاهلها كلياً مما أثار غيرتها وغضبها

اقتربت منه وهي تقول: ماذا بك؟ هل أنا شفافة لتلك الدرجة

مايكل: ولمالا تأخذين الأمور ببساطة نحن هنا كلنا أصدقاء هل فهمت

احمر وجه روز وتركت مايكل غاضبة، جلست على الطاولة وهي تراقب رولا ومايكل وما هي إلا دقائق حتى وجدت مايكل يجذب لورا من يدها ويقف أمامهم قائلاً: اليوم أعلن لكم خطبتي للورا

راح الجميع يصرخ ويصفق وانهالت عليهم التبريكات، مايكل ينظر لروز لأول مرة بازدراء ..تهم روز بمغادرة المكان بعد أن صدمها ما حدث لكن شيء ما جعلها تتراجع وتقترب من مايكل حاملة كأساً من النبيذ وتقول: في صحة مايكل ورولا.. ويصفق الجميع ثم تقترب من مايكل وتقول بصوت منخفض: هذه الليلة أريد أن أغيب عن الوعي فلتمنحني إكسير الخيال ، أين النوع الذي أخبرتني عنه أريده الآن..

ابتسم مايكل بخبث وأشار لصديق لهم ففهم إشارته وأحضر له الأمبول ..

يبدو أنها قررت أن تنتقم من ذاتها لأنها صدقت مايكل، أو ربما تريد أن تثبت له أنها على نفس القدر من الجنون.. قامت روز بحقن نفسها لأول مرة، وجلست على الطاولة تتأمل من حولها ثم انتابها شعور هائل بالسعادة

راحت تترنح في المكان وتضحك بشكل هستيري والجميع يشاركونها الضحكات ويشجعونها على مزيد من الهذيان

عادت روز إلى المنزل بعد أن قامت إحدى صديقات مايكل بتوصيلها.. ارتمت على الفراش لم تشعر الأم بوصولها فقد كانت منهكة من العمل ، نامت روز نوما عميقاً رأت خلاله نيران تحرق المكان وهي تجري لتتجنب تلك النيران لا أحد بجوارها تصرخ وتصرخ لا يسمعها أحد إلى أن تسقط في حفرة عميقة وتظل تبكي حتى تفقد الوعي

لم تبتعد روز عن شلة مايكل على العكس كانت تقتل نفسها كل يوم بالسهر والمخدر لتنسى أنها فقدت مايكل

في هذا اليوم كانت ذاهبة للكلية التقت بمي في الفناء فقالت لها مي معاتبة: أسبوع أحاول الاتصال بك لا تردين وذهبت أكثر من مرة للمنزل لم أجدك لماذا تهربين مني

روز: لعلي أهرب من نفسي

مي: لقد عاد وجهك إلى نحوله وذبوله هل عدت إلى ماكنت عليه يا روز

روز: دعك مني يا مي.. ما أخبارك أنت

مي: لن أدعني منك أنت أعز صديقة لي واختفاؤك هذا وظهورك الآن بهذا الشكل يرعبني

روز: لا شأن لك بي هي حياتي وأنا حرة فيها

مي: سأخبر أمك إذاً

روز: أمي نفسها لا تهتم ولم تلحظ شيء فلماذا تحملين نفسك عبئاً أكبر منك؟

مي: لأني أحبك يا روز أنت أختي التي لم تنجبها أمي

بكت روز بحرقة وقالت: أرجوك اتركيني وشأني وجرت مسرعة خارج الجامعة تاركة مي حائرة لا تدري ماذا تفعل

خارج الجامعة التقت روز بمايكل

روز: كنت سأتصل بك أريد جرعة جديدة

مايكل: لكن الثمن قد تضاعف

روز: سأدفع لك ما تريد

ابتسم مايكل وأخرج من جيبه علبة صغيرة وناولته المال وانصرفت عائدة للمنزل

تغيبت روز عن الجامعة أسبوعاً آخراً، كلما حاولت مي الاتصال بها لا ترد ودائماً خارج المنزل

تركت لها رسالة على الماسنجر "اتصلي بي أريد أن أتحدث معك"

لكن روز قرأت الرسالة ولم ترد، أصبحت تسرف في تناول المخدر خاصة عندما ترى مايكل برفقة رولا يتحدثان ويضحكان معاً، ازدادت عيونها احمراراً ووجهها شحوباً، وفي إحدى سهراتها معهم اقتربت من مايكل ورولا وقالت وهي غير منتبهة لكلماتها فقد كانت تحت تأثير جرعة مخدرة: متى سيكون موعد الفرح؟

مايكل بلا مبالاة: سنخبرك عندما نحدده

رولا: وستكونين أول المدعوين

روز: طبعاً فأنا حبيبة مايكل السابقة

ظهر الضيق على وجه رولا فراح مايكل يقول لها: إنها تهذي ألا ترين وجهها

روز: أنا لا أهذي لكني تنازلت عنك أنا لا أريدك.. أنت إنسان قبيح وأنا كذلك لأنني طاوعتك وأنت يا رولا ستصبحين مثلي صدقيني وسيحترق فستان زفافك وتظلين تركضين وتركضين

ثم انفجرت روز في ضحك هستيري مختلط بالدموع إلى أن وقعت مغشياً عليها

في ذلك الوقت كانت مي تجلس في غرفتها تنهي مذاكرة بعض محاضرات اليوم، قامت لتستريح بعد أن أعدت كوبان من الشاي لها ولوالدتها

نظرت لها الأم بامتنان وقالت: لا حرمني الله منك

مي: سلمت لي يا أمي

سناء: ما أخبارك بالجامعة

مي: في أفضل حال لولا غياب روز المقلق

سناء: لا زلت لا تستطيعين لقاؤها

مي: نعم يا أمي.. أخشى أن تكون قد عادت للمخدرات

سناء: لا أعتقد يامي خاصة وأن والدتها قد علمت بالأمر

مي: أتمنى ذلك

رن هاتف مي فراحت لتجيب فجاءها صوت والدة روز تبكي

مي: ماذا حدث

الأم: روز في المشفى الآن لقد تناولت جرعة مخدرات زائدة وهي تنادي عليك

ألقت مي الهاتف وهرولت نحو أمها: أمي روز في المشفى

سناء: هيّا لنذهب لها أسرعي

بداخل المشفى كانت روز نائمة حولها العديد من الأطباء حاولوا الدخول لها لكن الممرضة رفضت.. بعد فترة بدأت روز تحرك عينيها وتنادي مي فسمح لها الأطباء بالدخول لخمس دقائق فقط، دخلت مي والدموع تملأ وجهها نظرت لها روز بوهن وقالت: سامحيني يا مي لم أحافظ على وعدي لك أنا أحبك.. ثم راحت في سبات أبدي، تجمع الاطباء حولها وأكدوا الأمر لقد رحلت روز إلى الأبد.

لم تتمالك مي نفسها راحت تنظر بذهول لمن حولها في الغرفة وهي تقول: لا زالت على قيد الحياة أليس كذلك، روز لن تموت الآن أمامها الجامعة والأحلام و..

غير حقيقي هي غائبة عن الوعي فقط.. لا.. لا تقولوا ماتت وارتفع صوت بكائها فدخلت والدة روز على أثره ووقعت مغشيا عليها..

ارتمت مي على صدر أمها وازداد نحيبها والأم تحاول تهدئتها وإبعادها عن الحجرة لكن مي لم تتوقف عن البكاء... لقد توقفت عن الحياة..

برحيل روز صمتت مي عن الكلام.. عن النبض.. صار الحزن حليفا لها.. امتنعت عن الذهاب إلى الجامعة.. أصبح النوم عزيزا، وإن نامت تحاصرها الأحلام المزعجة..

آلام في قلبها يؤكد الأطباء أنها لأسباب نفسية..

تحاول والدتها إخراجها مما هي فيه.. تتوسل إليها أن تذهب للجامعة لكنها ترفض وتقول.. ولماذا أذهب وأكمل الجامعة روز لن تكملها..

عمر يكاد يجن من انقطاع أخبار مي.. يسأل كل من يعرفها بلا جدوى..

يراسلها على الماسنجر لكنها لا ترد ولا ترى الرسائل.. يخشى أن تكون قد أصابها مكروه.. بحث في أسماء أصدقائها في أُستراليا فوجد عدد منهن وبدأ يتصفح حساباتهن الشخصية.. فعلم الحقيقة..

رحلت روز أعز صديقة لمي، لا بد أنها منهارة الآن.. لن ينتظر كثيراً سيهاتفها على الماسنجر..

لكن مع الأسف لم تكن مي متصلة بالإنترنت مما أصابه بخيبة أمل كبيرة..

بدأت رحلة علاج نفسي طويلة.. ترددت فيها على كثير من الأطباء والنتيجة واحدة..

لاشيء يبعث في نفسها البهجة.. أُستراليا الساحرة صارت أضيق مما تتصور.. فكرة الموت تسيطر عليها وتوقظها ليلاً على هواجس مخيفة...

لم تكن تعلم أن المرض النفسي بتلك القسوة..

أرادت العودة للجامعة لتهرب مما هي فيه، لكن في كل مرة كانت تعود للمنزل بعد اقترابها من الجامعة..

طال غياب مي.. وطالت حيرة وحزن عمر.. يتمنى لو يستطيع السفر إليها ليكون إلى جوارها في تلك المحنة..

لا تكف سناء عن البكاء والدعاء لمي..

بقعة من الضوء بدأت تتسلل إلى قلب مي.. شيء من الإحساس بالحياة.. ربما أراد الله أن يعيدها من جديد لأن دورها لم ينتهِ بعد..

" لم أكن مثلها ولم تكن مثلي، اختلفت ثقافتنا واتفقت أرواحنا، لكنها رحلت.. من قتل روز؟ "

بتلك الكلمات بدأت مي حملتها في الجامعة ضد متزعمي المخدرات الذين أودوا بحياة روز..

عادت مي إلى الجامعة.. عادت لتأخذ بثأر روز..

انتشرت اللافتات في أنحاء المكان مصاحبة لها صور روز..

لافتات غاضبة وأخرى منددة بما حدث.. صارت وفاة روز حديث الجامعة وموضوعها الأول

في نفس الوقت بدأت سناء حملة جديدة في الجريدة تحمل نفس الاسم، تدعو كل من لديه معلومات حول تلك القضية أن يأتي بها لتنشرها ليعاقب المجرم ولتحمي شباب الجامعة من الوقوع في تلك الكارثة..

وعلى صفحة مي الشخصية نشرت صوراً لها هي وروز مرفقة بخواطر حزينة عنها وعن مأساتها في فقدها..

قرأ عمر كل ما نشرته مي وكان يتجنب التعليق حتى لا يغضبها لكنه قرر إرسال رسالة فقد أحس أن من واجبه أن يقف إلى جوارها في تلك المحنة فأرسل لها

" مي.. أعلم أن مصابك كبير وأعلم أيضاً أن إيمانك أكبر، ألمك هو ألمي.. وعندما أشعر بدموعك يعتصر الحزن قلبي.. سيأتي اليوم وتأخذين بثأرك

ممن تسبب في رحيل روز لكن حتى يأتي هذا الوقت كوني قوية كما عهدتك "

لم تكن تلك الرسالة الوحيدة التي أرسلها عمر في ذلك الوقت.. كانت تلك الرسائل تمنح مي مزيداً من القوة والأمل، لعله أراد أن يحيي ذلك النبض الذي خفت برحيل روز، ولعله أراد أن يثبت لها كم هو قريبا منها، ولعله أراد أن يربت على قلبها الذي أنهكه الألم، ولعله فعل ذلك استجابة لحكم قلبه..

لم تعد مي قادرة على الاستغناء عن تلك الرسائل... كانت بمثابة دواء لجراحها..

" ويحدث أن تغادر روحك قصراً وتضيق المدن عليك فتلتمس من جديد شمس وطن غاب عنك منذ زمن..

ويحدث أن يتلاشى الحلم وتتوه الخطى.. ويرحل عنا أعز من لدينا فنصبح شجرة يابسة لا تورق ولا تثمر..

ويحدث أن لا أجدني.. فمن يمنحني طوق النجاة لأنجو من غرق محقق..

فقد أوشك الليل أن يفترس الضوء لأغوص في ظلام بلا حدود.."

بدت كلمات مي كرثاء لنفسها التي رحلت برحيل روز..

وربما هي استغاثة غير معلنة تحمل رسالة واحدة أنها بحاجة لكل من يحبها ليكون إلى جوارها في هذا الوقت الذي تحاول فيه العودة إلى الحياة..

على الجانب الآخر قرأ عمر كلمات روز، ما كان للمحب أن يترك حبيبته تقاسي وحدها.. فاضت المشاعر بداخله فاتخذ قراره..

بجوار الحاسوب جلست مي تتصفح الفيس حين لمحت منشور لعمر على صفحتها نشر للتو..

" أقر وأعترف أني أحبك.. لن يمنعني نقاؤك من قولها فقد تسربت حروف الاعتراف من بين يدي.. فامنحي نفسك وامنحيني فرصة ربما تعاود شمسك الشروق من جديد"

#عمر

تمت بحمد اللّه

في 6-3-2020

فوق الدوامة
رواية
إيمان مختار قاسم

الطبعة الأولى
1441 هـ 2020 م

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر – بورسعيد

جوال: 00201211132879

E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com